دعوة الحق



اللسان العربي والإسلام

معًا في معركة المواجهة

تأليف
الدكتور السيد رزق الطويل

السنة السادسة - العدد ٦٠
ربيع الأول ١٤٠٧هـ - نوفمبر ١٩٨٦م





بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذِرينَ . بلسان عربى مبين﴾

[سورة الشعراء الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥]

ذكـرى

قال أبو منصور الثعالبى النيسابورى :

«من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ ، ومن أحب الرسول العربى ، أحب العرب ، ومن أحب العرب ، أحب العربية ، التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ، ومن أحب العربية عُنِيَ بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها» ..

من مقدمة كتاب

فقه اللغة ، وسر العربية

المقدمة

نحمد الله ونستعينه ، ونستهديه ، ونسأله أن يبصرنا بمواقع الصواب ، وأن يباعد بيننا وبين شهوات النفس ، وضلالات العقول ، ونصلى ونسلم على نبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله ، اختاره الله للرسالة الخاتمة ، واصطفى لسان أمته لساناً للكتاب المبين ، المهيمن على كل كتاب ، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ونستفتح بالذى هو خير : ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾[1]

وبعد :

فقضايا المصير الإسلامى كثيرة ومتعددة ، وملحة من أجل إعادة هذه الأمة إلى دينها القويم حيث تستعيد فى رحابه عزتها وكرامتها وأمجادها ؛ غير أنه من بين هذه القضايا تبرز قضية ذات بال ، تلك هى قضية اللسان العربى الفصيح ، وما أصابه من ضعف واستعجام إنها من أخطر القضايا فى تاريخنا الفكرى ؛ على الصعيد الإسلامى ، لا على الصعيد العربى فحسب ، إنها ذات صلة وثيقة بوحدة أمتنا ، وذات صلة أوثق بدينها القويم والدفاع عنها فى تقديرى دفاع عن الإسلام ، وكيانه ووجوده ، وأمامى

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٤ .

شواهد صادقة من واقع الكفاح الإسلامى تدعم ما أقول ، إنها كانت الهدف الأول لكل محاولة استعمارية لضرب هذه الأمة ضربة مؤثرة حتى تحول الأمر إلى صراع شرس ، عاشه القرن الهجرى الماضى حتى الثلث الأخير منه تقريباً ، وتاريخ الاستعمار فى مصر ، والمغرب العربى وبلاد الشام ، وغيرها يسجل هذه المحاولات الضارية لقطع لسان هذه الأمة أو تعجيمه ، ومطاردته لهذا اللسان خارج الأرض العربية ـ حيث يوجد المسلمون الذين يعتزون بهذا اللسان نطقاً ورسماً ، أو نطقاً فقط ـ كانت باغية وظالمة ، وكان الاستعمار فيما اتجه إليه يصدر عن خطة محكمة ، وفهم واع لتاريخ هذه الأمة ، وخطورة لسانها .

لقد تعدد الناطقون بهذا اللسان وتكاثروا خارج الحدود العربية ، وانتشر الحرف العربى فى نحو ثلاثة أرباع سكان العالم ، واللسان العربى أقدم لسان على البسيطة[1] واستطاع أن يستبقى وجوده حتى العصر الحاضر ، ولا يزال حيث ماتت وتلاشت ، أو ذبلت وانكمشت الألسنة التى عاشت معه منذ هذه الأحقاب البعيدة سواء فى دوحة اللغات السامية أم فى غيرها . ويملك هذا اللسان أضخم تراث وأكرمه ، ولا قِبَلَ للسانٍ غيره بمثله ، وأنه لسان القرآن وهذا سر حيويته ، وللصليبية العادية مواقف وأىُّ مواقف مع القرآن الكريم ! ! ! وأيسر طريق عندهم للنيل منه تتمثل فى ضرب لسانه .

هذه هى القضية التى أردت معالجتها فى هذا الكتاب .

---

(١) هذا اجتهاد من المؤلف . ا . هـ مصححه .

أحاول فيه إبراز ما يملكه هذا اللسان من قيم وإمكانات .

ثم رصد ما وجه إليه من حروب سافرة أو خفية ، ومحاولة نتلمس فيها طريق العودة الحميدة بإذن الله ، وأمامى خطوط مستقيمة ومعالم واضحة ، أشير إليها بإيجاز

أولها : أبعاد العلاقة بين اللسان العربى والإسلام وسنعالجها من عدة نقاط .

- تأهل اللسان العربى قبل البعثة لهذه المهمة الكبيرة .
- العربية لسان القرآن الكريم .
- مزايا اللسان العربى وخصائصه .
- انتشار اللسان العربى مع انتشار الإسلام .
- هل اللغة العربية لغة دينية ؟
- اهتمام الأسلاف باللسان العربى سليماً ، قويماً ، ومدى هذا الاهتمام ، ومغزاه .

ثانيها : إدراك غير العرب لقيمة اللسان العربى ، وشهادتهم له .

ثالثها : إتجاه الاستعمار الحديث لضرب اللسان العربى .

وتحت هذا عدة نقاط :

- البواعث والأسباب .
- دور المستشرقين .
- دور الأذناب .
- دور المقلدين .
- التهجم على قواعد النحو ، وتغريب الأدب .

رابعها : طريق العودة .

أرجو من الله تعالى توفيقه وتسديده فى عرض هذه القضية على طريق التبصرة لأمتنا التى تداعت عليها الأمم ، وتناوشتها المحن ، ملتزماً بهذا المنهج الذى أسلفته فإن أصبت فالحمد لله وحده ، وإن كانت الأخرى فجل من لا يخطىء ، وحسبى سلامة القصد ، وحسن النية ، وأنى بذلت الجهد وما ألوت ، وقدمت ما فى وسعى وما قصرت وأبلغت نفسى العذر ، ومُبْلِغُ نفسٍ عذرها مثل منجح .

﴿وما توفيق إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [1] .

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [2]

من جوار الحرم الشريف بمكة المكرمة

ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ

دكتور السيد رزق الطويل

---

(١) سورة هود الآية ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨ .

الفصل الأول

أبعاد العلاقة

بين اللسان العربي والإسلام

﴿وكذلك أَنزلناهِ قرآناً عربياً وصَرَّفْنَا فيه من الوعيدِ لعلهم يتَّقون ، أو يُحْدِثُ لهم ذكرا﴾

[سورة طه الآية ١١٣]

تأهل اللسان العربى قبل البعثة لأن يكون وعاء للكتاب العزيز

أعبر هنا بكلمة «اللسان» دون كلمة «اللغة» ؛ لأن هذا هو المصطلح الذى اصطفاه الكتاب العزيز ، وهو التعبير الأمثل والأدق بلا ريب ؛ إذ يقول تعالى : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلَّا بلسان قومه**﴾ [1] كما قال ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾ [2] وسار القرآن الكريم على هذا النهج لا يعدوه .

أما لفظ «اللغة» فيطلق على لغات القبائل كأن يقال : لغة قريش ، أو لغة تميم ، أو لغة أسد ، ونحو هذا ، ولفظ لهجة استحدث فى القرون الأولى بعد الهجرة تعبيرا عن لغات القبائل ، ولم يكن لها وجود بهذا المعنى المعاصر قبل القرن الثالث الهجرى ، وقد ظهر اللسان العربى قبل الإسلام فى صورة لغات شتى للقبائل العربية التى كانت تضمها شبه الجزيرة العربية ، لكل لغة ألفاظها التى تختلف فى بعضها عن لغات القبائل الأخرى ، ولها طرائقها فى التعبير ، ولها عيوبها الصوتية أيضاً ، وتختلف بعض القبائل عن

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .
(٢) سورة الروم الآية ٢٢ .

بعض فى مدى إمكانات الفصاحة فى لسانها ، وكانت لغة قريش أفصح لغات القبائل جميعاً ، وهذا أمر قدره رب العالمين ، وهيأ له أسبابه .

لقد استجاب الله لدعوة إبراهيم عليه السلام التى ضرع بها إليه ، وهو يبنى أكرم بنيةٍ ، وأعظمها ، وأقدسها ، فى قلب الوادى غير ذى الزرع ، فكانت الكعبة البيت الحرام محوراً التقت حوله هذه الأمة التى تأهلت على امتداد فترات التاريخ القديم ، لتقود العالم بالدين الحق ، واللسان المبين . يقول تبارك وتعالى : ﴿**ربنا ، واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[1] وسار القدر الإلهى فى طريقه المرسوم ، تتوالى الاسباب لتحقيق الدعوة الكريمة ، ولإعداد هذه الأمة ولسانها لرسالة خالدة ، ومهمة ـ على طريق قيادة البشر ـ عظيمة وكريمة .

لقدأمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج فكانت الكعبة ملتقى لقبائل العرب من أنحاء الجزيرة كل موسم وقامت بجانبها الأسواق :

عكاظ من أول ذى القعدة إلى اليوم العشرين منه ومجنة فى الأيام العشرة الباقية منه .

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٢٨ ـ ١٢٩ .

وذو المجاز وتقام فى الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة وترد إليها وفود القبائل فى موسم الحج لأداء شعيرة موروثة عن أبيهم إبراهيم ، وتلبية لحاجات اقتصادية ، وحاجات لسانية لا تقل شأناً عن حاجات الاقتصاد ، بل إن موروثات عكاظ وزميلتيها من الشعر والأدب أعظم وأكبر ؛ والمعلقات السبع ، وغيرها من فوائد الشعر خير دليل على نتاج هذه الأسواق التى كانت فى حقيقتها أعظم منتدى للنقد الأدبى فى هذا العهد الباكر ، وأصبح لقريش بحكم مكانتها ، وهى القائمة على الكعبة ، والمهيمنة على أمر الموسم سلطان على هؤلاء الوفود جميعاً ، فأصبح أمرهم نافذاً ، وكلمتهم مطاعة ، وقافلتهم مهابة ، ولغتهم قدوة يتبعها فى صوتياتها ، ومفرداتها ، وطرائق تعبيرها كل أبناء القبائل ، وكان الشاعر الذى يريد أن يشرف بإلقاء قصيدة فى عكاظ يتحرى لغة قريش ؛ ليكون لقصيدته السيرورة والذيوع والانتشار ؛ وسادت لغة قريش لغات اللسان العربى جميعاً ، وبلغت مدى كبيراً من الاستواء والنضج ، والقدرة على التعبير عن دقائق الأشياء : مُحسَّاتها ومعقولاتها .

ثم كانت البعثة التى أشرقت شمسها على ربوع الجزيرة ، فأرشدت العقول ، وهدت القلوب ، واستثمرت عناصر الخير ، وأصول الفضل فى هذه الأمة ، كما تستنبت البذور الصالحة فى الأرض الطيبة ، وكان من ذلك لسان هذه الأمة الذى ظهر فضله ، وتميُّزه حين وعى ما فى القرآن الكريم من حكم وأحكام ، وتشريعات ونظم ، ومواعظ ونصائح ، وقصص وأخبار فأبرز من قيم هذا اللسان ما كان محل عجب أهله أنفسهم .

العربية لسان القرآن الكريم

لقد أكدت آيات الكتاب العزيز فى مواطن عدة عروبة لسانه ، وفى هذا التأكيد إشارات ذات بال ، يقول تبارك وتعالى :

﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [1]

ومعنى هذا أن عروبة القرآن سبيل لتعقله ، وتيسُّر فهمه لمن نزل إليهم حتى ينشروا فى العالمين رسالته ويقول سبحانه : **﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق﴾** [2]

وفى هذه الآية شهادة لهذا اللسان العربى بحكمة القول ، ودقة الأداء وسداد اللفظ والعبارة ، والقدرة على استيعاب دقائق المعانى ، وروائع الحكم ، ويقول تعالى : **﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين ، وتنذر به قوماً لدا﴾** [3] كما يقول جل شأنه : **﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ، أو يحدث لهم ذكرا﴾** [4] وقوله تعالى **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون مِنَ المنذِرِينَ . بلسان عربى مبين﴾** [5] كما يقول عز من قائل : **﴿كتاب فصِّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾** [6] ويقول :

---

(١) سورة يوسف الآية ٢ .
(٢) سورة الرعد الآية ٣٧ .
(٣) سورة مريم الآية ٩٧ .
(٤) سورة طه الآية ١١٣ .
(٥) سورة الشعراء الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٦) سورة فصلت الآية ٢ .

﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمى وعربى قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[1] ثم يقول سبحانه : **﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ، ورحمة،وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين﴾**[2]

ماذا فى هذه الشواهد كلها من دلائل ؟!! ما معنى اقتران عروبة القرآن بالقدرة على التفصيل والبيان فى قوله تعالى : **﴿فصلت آياته قرآناً عربياً﴾** وقوله **﴿قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد﴾** وقوله **﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لو لا فصلت آياته﴾** ، وكأن التفصيل ، والبيان ، من خصائص هذا اللسان ؟! وفى مجال المقارنة بالتوراة : ماذا نفهم من النص على أن القرآن الكريم مصدق لسانا عربياً ؟!

إن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى أى كتاب أنزله اللسان الذى نزل به ، لم يأت ذلك إلّا فى القرآن الكريم .. وقد نتساءل : لماذا ؟ والجواب ، لأن لسان القرآن كان أداتَه وآيتَه التى قهرت المخالفين والجاحدين ، وأقامت عليهم الحجة وألزمتهم الجادة ، وأبلستهم فانقطعوا عن اللجاجة ، ومن هنا أصبح القرآن الكريم ولسانه حقيقة واحدة لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ويُعْتَدَى على أحدهما من حيث يُطْعَن الآخر ، ويستبين لنا ما فى الكتاب من ذخائر العلم والمعرفة مادامت صلتنا وثيقة بلسانه .

يقول الدكتور محمد محمد حسين فى حديثه عن الدعوات

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٢ .

الهدامة فى العصر الحديث مشيراً إلى خطورة الدعوة إلى هدم اللغة بخاصة : .. وبعد فهذه الدعوة هى أخطر الشعب الثلاث التى عرضناها فى هذا الفصل . إن الدعوات التى تستهدف هدم الدين والأخلاق قد تضل جيلاً من الشباب ، لكن الأمل فى إنقاذ الجيل القادم يظل كبيراً مادام القرآن حياً مقروءاً ، ومادام الناس يتذوقون حلاوة أسلوبه ، وجمال عبارته . أما هذه الدعوة الخطيرة فهى ترمى إلى قتل القرآن نفسه ـ وهيهات ـ والحكم عليه بأن يصبح أثراً ميتاً كأساطير الأولين التى أصبحت حشو لفائف البردى ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقاً بالياً ، بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه ، وتنشئتهم على تذوق ألوان أخرى من الأساليب المستجلبة من الغرب ..[1]

هذا هو فهم كل حصيف يدرك أبعاد الحرب الشرسة على اللسان العربى ، وقد برزت دلالة واضحة على الرابطة الوثقى بينه وبين الكتاب العزيز ، ومن أجل هذا كانت الصليبية أكثر دهاء حين عدلت عن حرب الإسلام مباشرة واستبدلت بها حرب اللسان . لتصيب الهدفين بسهم واحد ؛ ونفسر هذه الرابطة من جهة أخرى .. وذلك أن المسلمين فى الصدر الأول بل فى عصر الصحابة يفهمون القرآن من خلال آثار اللسان العربى ونتاجه المتمثل فى الشعر والحكم والامثال وكلمات الأعراب ، قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه . ويروى عكرمة عن ابن عباس أيضاً : قال : إذا سألتمونى عن

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ٢ ص ٣٦٥ .

غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب ..[1]

وتروى كتب الغريب وعلوم القرآن حواراً رائعاً بين ابن عباس رضى الله عنهما ونافع بن الأزرق ، نسوق جانباً منه شاهداً فى هذا المقام . والقصة يرويها حميد بن الأعرج وعبد الله بن أبى بكر بن محمد عن أبيه ، قال : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة ، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال سلانى عما بدا لكما . فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾[2]

قال ابن عباس : العِزُون : حَلَق الرفاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهْرِعُونَ إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**من طين لازب**﴾[3] قال : الملتزق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :

فلا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

---

(١) راجع الإتقان للسيوطى جـ ١ ص ١٧٥ .

(٢) سورة المعارج الآية ٣٧ . (٣) سورة الصافات جزء من آية رقم ١١ .

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً**﴾[1] قال : الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

أحمد الله فلا ند له بيده الخير ما شاء فعل

قال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**فى جنات ونهر**﴾[2] ، قال : النهر : السَّعه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يُرى قائم من دونها ما وراءها

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**فمن خاف من موص جنفا**﴾[3] قال : الجنف : الجور والميل فى الوصية ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :

وأمك يا نعمان فى أخواتها تأتين ما يأتينه جنفًا وزورًا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**فمنهم من قضى نحبه**﴾[4] قال : أجله الذى قدر له ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل ؟

قال : أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿**مُقِيتا**﴾[5] قال : قادراً ، أما سمعت قول أميمة الأنصارى :

وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مُقيتا

---

(١) سورة البقرة جزء من آية رقم ١٦٥ . (٢) سورة القمر الآية ٥٤ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٢ . (٤) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٢٣ .
(٥) سورة النساء كلمة من الآية رقم ٨٥ .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿**لا تواعدوهن سرا**﴾[1]

قال : السر : الجماع أما سمعت قول أمرىء القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن السر أمثالى

هذا جانب يسير مما دار فى هذا الحوار العلمي الذى يكشف عن قدرة هذا اللسان وقد رويت مسائل نافع بن الأزرق بأسانيد متعددة ، ووعتها بطون كتب التراث وقد ذكر جانباً منها أبوبكر بن الأبنارى فى كتاب الوقف والابتداء ، والطبرانى وعرضها السيوطى بإيجاز[2]

وهنا دلالة هامة تكشف عما يسميه العلماء بغريب القرآن ؛ إذ الغرابة ناشئة عن قصر مدارك الإنسان نفسه ، أو غرابة بيئته ، أما اللفظ القرآنى فهو مأنوس عند العالمين ، مألوف عند من له خبرة بفصيح الألفاظ ؟ إذ أن الكتاب العزيز اصطفى من لغة قريش أنقى ألفاظها ، كما اصطفى من لغات القبائل أفصح ما فيها من كلمات .

ومن شواهد هذا ما روى أن أبابكر سئل عن قوله تعالى : ﴿**وفاكهة وأبا**﴾ فقال : أى سماء تظلنى ؟ وأى أرض تقلنى ، إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم .

وقرأ عمر الآية نفسها على المنبر ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو الكلف يا عمر ! !

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت لا أدرى : ما فاطر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٥ .

(٢) الاتقان للسيوطى جـ ١ من ص ١٥٧ إلى ص ١٧٥ .

السموات ، حتى أتانى إعرابيان يختصمان ، فقال أحدهما : أنا فطرتها . يقول : أنا ابتدأتها ! ! [1]

فى القرآن الكريم : **سامدون**[2] (الغناء) ـ **معاذيره**[3] (مستوره) ـ **وَزَر**[4] (حيل) **والمرجان**[5] (صغار اللؤلؤ) وهذا كله من لغة اليمن ، **وبَعْلا**[6] بمعنى (رب) فى لغة أزدشنوءة . **وبورا**[7] بمعنى (هلكى) بلغة عمان . **ومراغماً**[8] بمعنى (منفسحًا) بلغة هذيل . **ولا يلتكم**[9] بمعنى (لا ينقصكم) بلغة عبس .

وقوله تعالى ﴿**أفلم ييأس الذين آمنوا**﴾[10] بمعنى : أفلم يعلموا بلغة هوازن .

هذا قُلٌّ من كُثْر يؤكد أن الكتاب الحكيم استوعب ما وعاه هذا اللسان من فصيح الألفاظ ، ونقيّ الكلمات .

مزايا اللسان العربى وخصائصه :

وعلى ضوء ما قررناه من قدرة اللسان العربى على استيعاب ما جاء فى الكتاب العزيز من تشريع ومواعظ ، وقصص وأخبار ، وعلوم ومعارف مما يعد دليلاً لا ريب فيه على ما تميز به هذا اللسان فى كل مستويات التعبير تضيف لذلك أموراً أخرى تفرد بها بين ألسنة البشر جميعاً .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ .
(٢) سورة النجم جزء من الآية ٦١ .
(٣) سورة القيامة جزء من الآية ١٥ .
(٤) سورة القيامة جزء من الآية ١١ .
(٥) سورة الرحمن جزء من الآية ٢٢ .
(٦) سورة الصافات جزء من الآية ١٢٥ .
(٧) سورة الفرقان جزء من الآية ١٨ .
(٨) سورة النساء جزء من الآية ١٠٠ .
(٩) سورة الحجرات جزء من الآية ١٤ .
(١٠) سورة الرعد جزء من الآية ٣١ .

لقد كان لسان العربى حاسماً كسيفه ، معطاء مطواعاً كيده .

صويتات اللسان العربى سهلة ، سمحة ، ميسورة ، لا تحس عند النطق باللفظ بارهاق يلم بعضلات اللسان ، والفم ، وسائر مخارج الحروف ، بل تنساب الكلمات انسياب الماء سَلِسة سخبة .

ولكل حرف صفات متنوعة تجعل من الكلمة العربية قيمة تعبيرية ، ودلالية واسعة وثروتها فى المفردات شاملة ، واعية ، غزيرة ، فياضة ؛ قوانينها التصريفية والاشتقاقية تكسبها خصوبة وثراء ، فتأخذ من «كتب» مثلاً كلمات عدة ، تختلف عنها فى الدلالة ، طبقاً لقوانين يغلب أطرازها ، والإعراب سمة من سماتها الرائعة ، وقرينة من القرائن الهامة فى إبراز المعنى وطاقاتها البيانية غير محدودة .

فالعطاء البيانى للسان العربى قبل الإسلام ، يلفت النظر... أيمكن أن يكون هذا من نتاج قبائل يعيش أكثرها فى البداوة ؟!

يقول الدكتور طه حسين ، تعليقاً على أبيات للمثقب العبدى ، يصف فيها ناقته ويقول :

إذا ما قمت أَرْحَلُها بليل تَـأَوَّهُ آهةَ الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضينى : أهـذا دينه أبداً ودينى ؟
أكل الدهر حلٌّ وارتحال أما يبقى عَلَىّ ولا يقينى

قال : إنه أول شاعر فى تاريخ البشرية يصف مشاعر الحيوان (١)
على أن عنترة العبسى فعل هذا عندما وصف فرسه فى

---

(١) حديث الأربعاء جـ ١ ص ١٦٩ ط دار المعارف مصر سنة ١٩٧٥م .

قصيدته المعلقة . فقال :

فازْوَرّ من وَقْع القنا بِلَبَانه   وشكا إلىّ بعبرةٍ ، وتَحَمْحُمِ
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلمى

ليست هذه الخصائص التى ذكرتها مجرد عواطف ، أو تصورات يقولها محب للسان قومه ، فأضله الحب سواء السبيل ، ولكن غير العرب شهدوا للغة العرب بما قلت وأكثر مما قلت .

يقول فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب : «قد لا يكون من بين البشر قاطبة من يستثيره التعبير ، وتحركه الكلمة منطوقة كانت أو مكتوبة مثل العرب ، إن من العسير أن تجد لغة من لغات العالم تَحْظى بهذا التأثير الذى لا يُقَاوَم على عقول أصحابها . إن الجمهور العربى المعاصر سواء فى بغداد ، أم فى دمشق ، أم فى القاهرة يحرك وجدانه إلى أقصى درجة ممكنة إنشاد قصيدة ما ، وإن تعذر عليه فهمها كاملة ، ويستثير مشاعره إلقاء خطبة بالعربية الفصحى ، وإن غاب عنه فهم بعضها ، إن للإيقاع الشعرى والموسيقى ، والتناغم بين أجزاء الكلام ما للسحر على نفوس هذا الجمهور العربى ، بل هو ما يسمى بالسحر الحلال»[1]

وهذا روفائيل بتى يعبر عن آرائه ومشاعره الخاصة نحو اللغة العربية بعد أن أجاد تسع لغات هى : العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والهندية ، والآرامية ، والعبرية ، والفارسية ، والروسية فى كتابه The Arabes Men الصادر فى سنة ١٩٧٦ فى نيويورك ص٤٨ .

---

(١) كتاب تاريخ العرب ص٦٠ ، ص٦١ ، وترجمة النص فى كتاب الأسس المعجمية والثقافية ـ د.رشيدى طعين ـ اصدار معهد اللغة العربية ـ جامعة أم القرى .

«إننى أشهد من خبرتى الذاتية أنه ليس ثمت من بين اللغات التى أعرفها لغة تكاد تقترب من العربية سواء فى طاقتها البيانية أم فى قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك ، وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر ، والأحاسيس ، تاركة أعمق الأثر فيها ، وفى هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى»[1]

هاتان شهادتان تُفْصِحان عن خصائص كريمة فى هذه اللغة العريقة والفضل ما شهدت به الأعداء .

ونضيف لذلك أمراً آخر ، إنه الحرف العربى الذى رسمت به كلمات هذا اللسان ففى هذا الحرف إمكانات فنية وزخرفية هائلة ؛ بجانب يسره وسهولته ، وقلة الجهد الذى يبذل معه ، وأنه اختزالى بطبعه والشاهد على هذه الحقيقة أحد المستشرقين :

يقول المستشرق «ريتر» أستاذ اللغات الشرقية بجامعة استانبول ، وهو من المخضرمين ، أعنى الذين حاضروا فى الجامعة قبل حركة كمال أتاتورك وبعدها «إن الطلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملى عليهم من محاضرات بسرعة فائقة ، لأن الخط العربى اختزالى بطبعه ، أما اليوم فهم يفتأون يطلبون إعادة العبارات مراراً ، وهم معذورون فيما يطلبون ، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها .. ثم أضاف قائلاً : «إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم ، وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس فى ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل ، وتوضيح الواضح»[2]

---

(١) راجع المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) مجلة الأمة ص ٧١ عدد جمادى الأولى ١٤٠٤هـ نقلاً عن محاضرة عن الخط العربى وتطوره للخطاط المصرى سيد إبراهيم بتاريخ ١٩٧٧/١٢/٢٩ .

فإذا أضفنا إلى ذلك قابليته الاتصال بعضه ببعض سواء أكان مكتوباً أم مطبوعاً كما تتنوع أشكال الحرف الواحد ، وفيه قابلية للاستمداد ، والتخطيط ، كما أن الزخارف القائمة على الخط العربى على مدى التاريخ تعجب وتدهش ، والعمارة الإسلامية فى نقوسها اعتمدت كثيراً على إمكانات الخط العربى ، وهكذا يسر الله لهذا اللسان كل أسباب الفضل على كل مستويات الأداء حتى فى رسم حروفه ، وكتابة كلماته ؛ إذا استطاع الحرف العربى أن يغزو ألسنة الأمم الأخرى ، ولا أريد أن أختم حديث الخصائص التى تفرد بها هذا اللسان دون أن أذكر هذه الكلمة المعبرة ، للمحقق العلامة الشيخ محمود شاكر ، يقول : «وإذا كانت اللغة هى خزانة الفكر الإنسانى فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنسانى ، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز عنه سائر اللغات ؛ لأنها صفيِّت منذ الجاهلية الأولى ، المُعْرِقة فى القِدَم ، من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية ، ومن العلل الغالبة ، حتى إذا جاء اسماعيل نبى الله ابن إبراهيم خليل الرحمن أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرماً ، وأسلمها إلى أبنائه من العرب ، وهم على الحنيفية السمحاء دين أبيهم إبراهيم ، فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة ، مصفاة ، مبرأة حتى أظلَّ زمان نبى لا ينطق عن الهوى ﷺ فأنزل الله بها كتابه بلسان عربى مبين ، بلا رمز مبنى على الخرافات والأوهام ، ولا ادعاء لما لم يكن ، ولا نسبة كذب إلى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[1]

---

(١) أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر ص ٤٣٦ .

أضافت هذه الكلمة الواعية إلى ما قلنا من سمات لهذا اللسان الكريم تحليلاً تاريخياً يفسر الإمكانات الكبيرة التى يملكها هذا اللسان ، وبخاصة الوضوح والصفاء والقدرة الفائقة لكلماته فى حمل كنوز المعانى ، وتوصيلها إلى الناس .

ولا تعجب ـ إذن ـ بعدما عرفنا من هذه المزايا أن تأهل اللسان العربى لنزول أحسن الحديث ، وأصدق القول ، وأعذب الكلام .

انتشار اللسان العربى بانتشار الإسلام

كان الاستعمار الحديث على امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين إذا نكب بلداً يجند كل طاقاته ، ويرصد كل إمكاناته فى أن يصبغها بصبغته ، ويطبعها بطابعه ، وكانت خطته فى بلاد الإسلام أن يطارد اللسان العربى ، ويحتال لذلك أشد الحيلة ؛ وبيوء بالفشل ، وإن أحرز نجاحاً كان بخاصة محدوداً ما يكاد يحرز ثمرته حتى تغيب شمسه ، ويأفل نجمه ، لكن الشيء الذى يقف أمامه التاريخ والمؤرخون هو أمر اللسان العربى . لقد سار مع الإسلام فى مسيرته ، وواكبه فى حركته ، وانتشر بانتشاره ، فإذا أشرق الإسلام على بلد رشدت العقول ، وتعربت الألسنة حتى أصبحت أصداء هذا اللسان تتردد فى المشارق والمغارب ، وإذا لم تتعرب الألسنة تماماً تعربت حروف الكتابة فى لغاتها ؛ إنه دين ولسان ، ولأول مرة فى تاريخ الرسالات يقترن الدين بلسان معين لا يمكن أن يستقيم أمر الإنسان على ذلك الدين إلّا باستقامة لسانه على لسان هذا الدين .

نعم ما أرسل الله رسولاً إلّا بلسان قومه ليبين لهم كما قال رب العالمين ، لكن لسان العرب الذى جاء به الإسلام لِيُحَمِّل هذه الأمة مسئولية دعوة البشرية كانت تكمن فيه عناصر القوة ، البقاء ، وبواعث الإغراء التى تحرك ملايين البشر للنطق به ؛ لأن العربية

ليس لها أن تقارن إلا بالموسيقى كما قال روفائيل بتى ، ثم هذا الكتاب المبين الذى هو آية فى نظمه وبلاغته فجر الطاقات الكامنة فى هذا اللسان ، وأبرز إمكاناته الواسع ، والذى يلفت النظر أن هذا الانتشار الواسع والسريع والعميق لهذا اللسان فى بلاد الشام والعراق ، ومصر وشمال إفريقيا ، وفى بلدان غير ذلك كثيرة تم دون جبر أو إكراه ، ومن غير خطة دبرها الدعاة لذلك . لكنها العقيدة تملأ الوجدان فيدرك صاحبها أنه فى حاجة إلى المزيد من خير زاد ، فتتجه همته قوية فَتِيّة إلى هذا اللسان المبين لتصبح فى متناوله كنوز العلم والمعرفة التى وعاها الكتاب العزيز .

إن الإسلام مِنَّةَ على ذلك اللسان ، كشف قدرته ، وحوله إلى لسان عالمى ؛ ونزول القرآن الكريم به دليل على فضله وسمو قدره ، لا سيما أنه كان برهان أيته كما كان الحجة التى أفحمت وأعجزت المعاندين الضالين ؛ ثم برزت ـ نتيجة سلبية لانتشار اللسان العربى ، واختلاط العرب بغيرهم بعد الفتح الإسلامى ، ونطق غير العرب باللسان العربى ـ فيه لكنة وعجمة ؛ وكانت النتيجة انتشار اللحن . وحاولت العجمة أن تغتال الفصاحة فى هذا اللسان بحكم المجاورة والاختلاط .

يقول الزبيدى[1] : ولم تزل العرب تنطق على سجيتها فى صدر إسلامها ، وماضى جاهليتها حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجاً وأقبلوا إليه أَرْسَالاً[2] واجتمعت

---

(١) أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى ، أندلسي من اشبيلية لغوى ونحوى وأديب له طبقات النحويين ، ولحن العامة توفى سنة ٣٧٩هـ .

(٢) ارسالا أى طوائف .

فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ، ففشا الفساد فى اللغة العربية ، واستبان منه فى الإعراب الذى هو حليتها ، والموضح لمعانيها ، فتفطن لذلك من نافَر بطباعه سوءُ أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب ، معظم الإشفاق من فُشُوِّ ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم» (١)

ومن هنا تحرك الغُيُرُ منذ ظهرت بوادر اللحن للتصدى له والوقوف أمام تياره لا لمجرد الحفاظ على اللسان ، ولكن من أجل أن تظل صلة الناس وثيقة بالقرآن ؛ وقد بدأت المقاومة مبكرة واتخذت صوراً عدة .

(أ) منها استنكار صدور اللحن من العرب الفصحاء .

قال النبى عليه الصلاة والسلام لرجل لحن أمامه : «**أرشدوا أخاكم**» (٢) والكلام هنا موجه إلى من حضروا المجلس ، واستمعوا للحنه .

وجاءت لعمر رضى الله عنه رسالة من أبى موسى الأشعرى ، وفيها : «من أبوموسى ... فغضب عمر ، وأمر أبا موسى أن يضرب كاتبه سوطاً ، ويؤخر عطاءه» وقال ابن شُبْرمة (٣) : إن الرجل

---

(١) مقدمة طبقات النحويين ص ١١ .

(٢) كنز العمال جـ١ ص ٥٤ وزاد أبوالطيب اللغوى فى مراتب النحويين ... فقد ضل .. وفى الخصائص لابن جنى جـ٢ ص٨ (فإنه قد ضل) وكذا الأدلة للانبارى ص٩٦ .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة الضبى ، قاضى الكوفة ، وكان فيها شاعرًا توفى سنة ١١٤هـ ـ خلاصة تذهيب الكمال ص ١٧٠ .

ليَلْحَن وعليه الخز الأدكن ، فكأن عليه أخلاقاً[1] ، ويعرب وعليه أخلاق فكأن عليه الخز الأركن[2]

(ب) الدعوة إلى تعلم العربية وتناشد الأشعار ، فغير العرب من المسلمين طلب منهم تعلم العربية ، كما طلب من العرب الفصحاء تناشد الأشعار للحفاظ على فصاحتهم وسلامة سليقتهم .

وعن أبي مسلم رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تُشَبِّبُ[3] العقل ، وتزيد من المروءة ..[4] ، كما روى عنه أيضاً : تعلموا الفرائض والسنة ، واللحن ، كما تتعلمون القرآن ..[5] وعن سعيد بن المسيب قال : بينما حسان بن ثابت يُنْشِدُ الشعر فى مسجد رسول الله ﷺ ، فجاء عمر فقال : يا حسان بن ثابت تنشد الشعر فى مسجد رسول الله ﷺ فقال : أنشدت فيه ، وفيه من هو خير منك .. وقيل لسعيد بن المسيب أيضاً : إن أناساً يكرهون ! نشاد الشعر ، فقال : نَسَكُوا نُسُكاً أعجمياً ...[6]

(جـ) اتخذت المقاومة صوراً إيجابية تمثلت فى عدة وسائل تزامنت وتعاصرت ، فوضع أبو الأسود نقطاً على خط المصحف لأجل الشكل[7] ، ولتلافى الوقع فى اللحن فكانت بمثابة الضبط الإعرابى ، وذلك أنه أجلس الكاتب وأمره بملاحظة شفتيه عند

---

(١) ثوب أخلاق أى بالٍ . (٢) طبقات النحويين ص ١٣ .
(٣) تحركه إلى التفكير وتثبته . (٤) طبقات النحويين ص ١٣ .
(٥) المرجع السابق . (٦) المرجع السابق ص ١٦ .
(٧) راجع كتابنا : علوم القراءات ـ مدخل وتحقيق ص ٢٠ .

القراءة ، فيضع فتحة على الحرف الذى تفتح فيه شفتاه ، وواوا صغيره على الحرف الذى تضم فى نطقه شفتاه ، وكسرة تحت الحرف الذى تكسر معه شفته ؛ وكانت هذه محاولة عظيمة لصد تيار اللحن وبخاصة فى الكتاب العزيز ؛ كما وضع تلامذة أبى الأسود : نصر بن عاصم[١] ، ويحيى بن يعمر[٢] ، وعبد الرحمن بن هرمز[٣] النقط على الحروف لإزالة الإعجام .

وفى الوقت نفسه ومنذ عهد أبى الأسود الدؤلى الذى كان والياً لعلى بن أبى طالب على البصرة كانت هناك محاولة جادة وجريئة لوضع ضوابط تعصم اللسان من اللحن ، وكان على رأسها ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلى ، وينتهى نسبه إلى كنانة ، وتشير المراجع إلى أن ذلك كان بتكليف من على رضى الله عنه ، يقول الزبيدى عن أبى الأسود : وهو أول من أسس العربية ، ونهج سُبُلَها ووضع قياسها ، وذلك حين اضطرب كلام العرب ، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون ، فوضع باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف النصب والرفع والجر والجزم[٤]

وتوالى أعلام العلماء بعد أبى الأسود ، يضعون لبنات فى صرح علم العربية (النحو) ومما يثير الانتباه فى مسيرة النحو أن جمهرة أعلامه كانوا من غير العرب ، فسيبويه إمام النحاة ، وكتابه أهم

---

(١) هو نصر بن عاصم الليثى ، عالم بالعربية من تلامذة أبى الأسود توفى سنة ٨٩هـ .
(٢) هو يحيى بن يعمر العدوانى ، تولى قضاء خراسان ، وكان فصيحًا ، بليغًا توفى سنة ١٢٩هـ .
(٣) يعرف بأبى داود الأعرج توفى سنة ١١٧ بالإسكندرية .
(٤) طبقات النحويين للزبيدى ص ٢٣ .

مرجع فيه كان مولى لبنى الحارث بن كعب وكان فى أول الأمر يدرس الحديث على حماد بن سلمة ، وذكر له هذا الحديث : «ليس من أصحابى أحد إلّا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء .. فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فصاح به حماد : لحنت يا سيبويه ، إنما هذا استثناء ، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لا يلحننى معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره »[1]

ومن قبل سيبويه كان عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى مولى لآل الحضرمى وعيسى بن عمر الثقفى المتوفى سنة ١٤٩ هـ مولى بنى ثقيف ، والأخفش الأكبر ، أبوالخطاب المتوفى سنة ١٧٧ هـ مولى بنى ثعلبة .

ويونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ مولى بنى ضبة ، وكلهم من أعلام النحو قبل سيبويه ، وبعد سيبويه .

كان أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى المتوفى سنة ٢٠٢هـ مولى لبنى عدى والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥هـ مولى لبنى مجاشع من تميم وكان المازنى أبو عثمان بكر بن محمد مولى بنى سدوس ، وكان أبو الحسن على بن حمزة الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ مولى لبنى أسد ، وكان أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ مولى لبنى أسد أيضاً ، وكان أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفى سنة ٢٩١ مولى لبنى شيبان[1] .

وكل هؤلاء الذين ذكرتهم هم أعلام هذه الدراسة ، الذين

---

(١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ـ مبحث ليس جـ ١ ص ٢٩٤ ، وراجع كتابنا : الخلاف بين النحويين تاريخ وتقويم .

توفروا على وضع قوانينها ، وإقامة صرحها الباذخ ، حتى إن النحو كان يعرف فى عصوره الأولى بصنعة الموالى .

وقد مر أعرابى على بعض الموالى يتذاكرون قضايا النحو ، فقال لهم : والله لئن كنتم أول من أصلحه إنكم أول من أفسده[1] .

وهذا الأمر فيه دلالة ذات بال ، هى أن اللسان العربى أول لسان حظى باهتمام غير أبنائه بصورة لم ينلها لسان آخر . وسر ذلك يتمثل فى أمرين .

أولهما : ارتباطه بالكتاب العزيز الذى يهمهم فَهمُه ودرسُهُ .

والآخر : خصائصه التى استهوت دارسيه حتى نبغوا فيه ، وبرزوا فى أدبه شعرا ونثرا .

وتتابعت الجهود ترسى قواعد لعلوم متنوعة تحقق الحفظ والصيانة للسان الكتاب الحق ، فكما توافر هؤلاء الأعلام من النحاة لوضع قواعد النحو لصون اللسان ودفع اللحن وجدنا من ناحية أخرى الباقلانى والرمانى والجرجانى ، والسكاكى والقزوينى يتوفرون على وضع مقاييس لبلاغة العرب من أجل إبراز معالم الآية القرآنية فى البيان والنظم والعبارة ، وماذاك إلا لأن الحفاظ على اللسان حفاظ على الدين .

واللسان العربى هو خط الدفاع الأول عن الإسلام ، وإن هذه الآلاف المؤلفة من كتب التراث فى اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة لم تكن إلا ردءا للذياد عن الدين ، وصيانة الكتاب

---

(١) راجع كتابنا : الخلاف بين النحويين : تاريخ وتقويم ـ التمهيد .

المبين ، وما من مؤلِّف فى أى علم من هذه العلوم اللسانية إلا ويقدم لعمله فى هذا العلم بأن وراءه الحفاظ على الكتاب العزيز ، سواء أكان نحوا أم صرفا ، أم فى ميدان اللهجات والأصوات أم فى علوم البلاغة وبيان عناصر الألزام والإقناع فى الآية القرآنية ، وإن شئت قل : وجوه الإعجاز مع تحفظ لى على هذا المصطلح عند المتكلمين والبلاغيين .

إن القرآن الكريم كان مصدر الكثير مما وضع فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية من علوم ومعارف ، يقول السيوطى فى مقدمة كتابه الإتقان :

« إن كتابنا القرآن لهو مُفَجِّر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ، ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شىء ، وأبان فيه كل هدى وغىّ ، فترى كل ذى فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوى يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه ، والبيانى يهتدى به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام ، وفيه من القصص ، والأخبار ما يذكر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لايقدر عليه إلا علام الغيوب »[1] .

---

(١) الاتقان للسيوطى ـ المقدمة ص ٤٢٣ .

في ظلال هذه الضوابط ، وفي صيانة هذه العلوم والمعارف تحركت مسيرة اللسان العربي ، محتفظة بقوتها ، وأصالتها ، وفي رعاية أعلامها ، وعلمائها ، وروادها ، ولقد فرض اللسان العربي نفسه على امتداد قرون كثيرة على ملايين البشر ، وبفعل عوامل شتى منها جفاف منابع الفصاحة في البادية بانتشار الحضارة ، وعمق الاختلاط بالعناصر الأخرى وسعته ، وسقوط منزلة البدو بعد عدة ثورات مدمرة في النصف الثاني من العهد العباسي نسبت إليهم ، وأحفظت الناس عليهم ، وترجمة معارف اليونان والفرس وانتشار مصطلحاتهم ، بتأثير هذا كله بدأت تظهر لغة أخرى ليست بالفصيحة جرت على ألسنة العامة في الحديث والتخاطب كما لم تفلت من غائلتها ألسنة الخاصة ، تلك هي التي عرفت بالعامية وأخذت تزاحم الفصحى لتحتل أرضا في حوزتها ، ولكن الفصحى ظل لها السلطان وبيدها الغلب ، وفي تقدير القوم هي لغة الفصاحة والعلم والأدب ، ولسان أهل الفضل ، أما هذه التي جدت فلم تجد لها أرضا تقف عليها إلا عند السوقة .

إن الله تبارك وتعالى تكفل بالحفاظ على كتابه ، وهذا يعني الحفاظ أيضا على لسانه ، إذ قال سبحانه : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [1]

وثمت ملاحظة دقيقة هي أن الآية سَمَّتْ القرآن الكريم « ذكرا » ، ولا ذكر بلا لسان يَذْكُر ويُذَكِّر ، ويقدم للعقل ما به

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

يتذكر ، ولم تتوقف جهود العلماء أمام العامية التى نشأت بل رصد العلماء هذه الظاهرة وكتبوا مؤلفات فيما تورط الناس فيه من أخطاء سواء أكانوا من العوام أم الخواص فوجدنا كتبا تؤلف فى لحن العامة مثل : لحن العامة للكسائى ، ولحن العامة للزبيدى كما ألف فيما بعد الحريرى كتابه درة الغواص فى أوهام الخواص .

والحقيقة التى نؤكدها فى هذا الصدد أن هذا اللسان الذى وعى التراث العربى والإسلامى كان له السيادة والظهور على امتداد العصور الوسطى ، واستطاع ــ لما أسلفنا ــ أن يستبقى خصائص القوة فى عصرنا الحديث ، يقول إرفنج Irving إن هذه الجذور المتنوعة ، وما يمكن أن يطرأ عليها من تغييرات تعز على الحصر تجعل العربية إحدى اللغات العظمى فى العالم أجمع ، ومن أجل هذا فهى جديرة بأن تُعَلَّم إنها بحق إحدى اللغات الكلاسيكية العظمى ، وتقف بجدارة على نفس مستوى كل من اليونانية والسنسكريتية [1] .

فإرفنج يشيد بعظمة هذه اللغة على مدى التاريخ ، وعلى مستوى العالم أجمع ، وجاء فى كلمته لفظ (الكلاسيكية) وهو يعنى العراقة والقدم ، بينما المعاصرون الذين يقلدون الغرب فى هذا التعبير يعنون معنى لا يتمشى مع القيمة الذاتية والتاريخية لهذه اللغة .

ويقول أنور شحته فى كتاب له عن اللغة العربية صدر عن جامعة « مينسوتا » الأمريكية عام ١٩٦٩ : منذ العصور الوسطى

---

(١) الأسس المعجمية ص ١٨ .

واللغة والعربية تتمتع بعالمية جعلت منها إحدى لغات العالم العظمى على نفس المستوى الذى حظيت به كل من اليونانية ، واللاتينية ، والانجليزية ، والإسبانية ، والروسية ، ولا يعزى هذا إلى عدد متكلميها فحسب ، بل أيضا إلى المكانة التى تشغلها فى التاريخ ، والدور الذى لعبته فيه »[1] .

هذا هو اللسان العربى بكل خصائصه ومقوماته ، بقيمه الذاتية ، وعراقته التاريخية ، ورسالته الراشده فى توجيه بنى الإنسان لقد شهد له أعدؤاه ، كما اعتز به أولياؤه ، وبجانب هذا أصبح لسان أمة متعددة الأجناس ، مترامية الأطراف ،يلتقى أكثرها عليه ، كما تلتقى كلها على تقديره وإعزازه ، والطموح إلى التحدث به ، ولأجل هذا استهدفت هذه الأمة فى لسانها ، وفى الفصل الثانى نعرف البواعث والأسباب .

---

(١) الأسس المعجمية ص ١٦ .

الفصل الثانى

خطة لضرب اللسان العربى

الدوافع ، والأسباب ، والوسائل

« متى توارى القرآن ، ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة الذى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » .

وليم جيفورد بلجراف

ماذا وراء التفكير فى ضرب اللسان العربى ؟

عرف أعداء العروبة والإسلام قدر اللسان العربى ، وأدركوا تماما عمق تأثيره ، وأبعاد خطورته ، وأنه سد منيع دون تحقيق الكثير من أهدافهم ومآربهم .

ولقد كان الغزو الاستعمارى لهذا الأمة شاملا ، يستهدف جوانب عدة ليصبغ الناس بصبغته ، فوجه ضربات للدين والأخلاق واللغة ، وكان الغزو اللغوى أخطر الجوانب الثلاثة جميعا . ويصف الشيخ محمود شاكر أبعاد هذه الغزو ومداه فيقول : كان غزوا ، أقل ما فيه نكاية « هو الجيوش ، وأبلغه افتراسا هو التجارة ، وأفتكه بالإنسان هو التبشير » ثم يقول : « فكان أخفى طريق عرفه المبشرون وأقرته سياسة الدول الأوربية الغازية هو « طريق التعليم » ؛ لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع ، وبخاصة فى زمن اليقظة بعد الغفوة ، هذه واحدة ، والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال صبغوا على أيديهم معلميهم بالصبغة التى يريدها الدهاة من أساتذتهم »[1] .

ثم يواصل الشيخ تفصيل جوانب الحديث فى هذه القضية ، كاشفا أبعاد هذا الغزو الفكرى عن طريق التعليم ومناهجه ، فيقدم

---

(١) أباطيل وأسمار ص ١٨٣ إلى ص ١٨٥ .

فقرات لباحث مصرى ، اسمه جرجس سلامة تتسم كتابته بالإنصاف والموضوعية ، وتتحدث عن تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فيقول الأستاذ سلامة : وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء قد أسهمت بنصيب كبير فى إضعاف اللغة العربية ، فهى تلقى فى خضم الحياة المصرية كل عام من ينظرون إلى غيرهم من طبقات المتعلمين فى المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية ، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة »[1] .

قد برح الخفاء ، وبدت جوانب المؤامرة ، فالمطلوب فى أول الأمر بث روح الكراهية والازدراء بالنسبة للسان العربى وبقدر صلته الإنسان بهذا اللسان يكون نصيبه من زارية العصابة الاستعمارية ، وأذنابها ، والمتعلمون فى المدارس الوطنية الحكومية ينالون قدرا من الزراية من زملائهم الذين تعلموا فى المدارس الأجنبية حيث خلوات التبشير؟ لأن لهم صلة ما باللسان العربى . وبالتالى من تعلموا فى الازهر حيث الحصن الحصين للغة والدين يكون نصيبهم من مقت القوم اعظم واكبر .

لماذا هذا كله ؟ هل اللسان العربى هو الهدف المباشر ام انه هدف يضرب به هدف اكبر واعظم ؟ سأترك الاجابة لهذه الوثيقة االتاريخية ، اقرا معى هذه الرسالة التى بعث بها شكيب ارسلان امير البيان العربى لمصطفى صادق الرافعى بعد ان كتب مقالا عن الجملة القرآنية .. فى مجلة الزهراء التى كانت تصد اوائل هذا

---

(١) المرجع السابق فيه كلمة الأستاذ جرجس سلامة ص ١٨٧ .

القرن ، يقول : كلا ايها الأخ ، إن هذه الفئة لا تمج الفصاحة من حيث هي ، ولا تحارب اللغة العربية نفسها ، ولكنها تحارب منها القرآن . إن هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الاسلامية ، وتريد أن تتبدل بها من كلام الجاهلين ومن كلام الفصحاء ، حتى المخضرمين والمواليد ، وكل كلام لا يكون فيه مسحة دينية .

والكاتب هنا يشير إلى محاولة أخرى لفصل الآثار الاسلامية فى اللغة عن الآثار الأخرى ، ثم يواصل كلامه فيقول : (حتى إذا تم لهم مايبتغون من غصن مكانة القرآن فى صدور الناس يكونون قد طعنوا الإسلام طعنة سياسية فى أحشائه على حين يزعمون أن الموضوع لغوى لا دخل له بالسياسية) ثم يقول : (إن هى الا حلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود بها الاسلام ، لا القرآن من حيث كونه قرآنا ، ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة [1] .

وبرغم هذه الحقائق التى كشفها أدباء العصر ، ومفكروه لتمزيق الأستار التى تلف الأهداف الخبيثة فإننا نجد فى كلمات القوم عندما يغالبهم حقدهم الأسود مافيه تصريح بما يكيدونه ، ويدبرونه لهذه الأمة ، ولسانها المبين ، ودينها القويم وهذه أقوالهم تفضح نواياهم .

١ ـ يقول القسيس « زويمر » فى مطلع القرن العشرين : « إنه لم يسبق وجود عقيدة دينية ، مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامى الذى اقتحم قارتى آسيا وإفريقيا الواسعتين ،

---

(١) تحت راية القرآن ـ مصطفى صادق الرافعى ص ٣٢ ، ص ٣٣ .

وبث فى مائتى مليون من البشر عقائده ، وشرائعه ، وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » ، وهو بهذا لا يريد الشهادة بالفضل لأهله ، وإنما يريد أن يحذر قومه ليمعنوا فيما يكيدون ، ويعدوا خطة للمواجهة .

٢ ـ يقول وليم جيفور بلجراف : متى توارى القرآن ، ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » وبالطبع لا يمكن أن يتوارى القرآن إلا بالقضاء على لغته .

٣ ـ عقد مؤتمر بالقاهرة فى ٤ من إبريل سنة ١٩٠٦ م فى بيت أحمد عرابى ، الزعيم العربى المسلم ، وقد عاد من منفاه محروما من ماله وداره ، واجتمع المؤتمرون وهم من المستشرقين ، برئاسة القسيس زويمر ، الذى ذكرنا كلمته آنفا ، ونادى أحد المؤتمرين بإنشاء جامعة نصرانية ، تتولى كل الكنائس المسيحية الإنقاق عليها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة [1]

هذه هى البواعث التى تحرك القوم ، وهذا هو المدى الذى ترمى إليه خططهم الباغية ؛ وجاءت حركة الاستعمار فى القرن الماضى لتنفذ هذه الأهداف ، ولتضرب فى كل الاتجاهات وكان جلُّ هؤلاء المستشرقين فلاسفة لها ، ومبشرين بها ، ويقدمون المشورة إليها ، وتحرك الجميع أطماع خلابة للاستحواذ على أرض العرب والمسلمين وامتلاك ثرواتهم ومقدراتهم ؛ وقد وضعوا فى

(١) هذه الأقوال منقولة من كتاب أباطيل وأسمار ص ١٥٨ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

اعتبارهم خلاصة بحثهم عن تاريخ هذه الامة ، وتراثها وإمكاناتها ، والثغور التى يمكن أن ينفذوا منها إليها .

أولها : دينها الذى تتمسك به ، وكتابها الذى تحرص عليه ، وفى الدين وكتابه من أسباب العزة والكرامة ، والقوة مافيه .

ثانيها : بجانب هذا لسانها الذى عرفوا قدره . وشهدوا بقيمته وقدرته .

ثالثها : وضعوا فى اعتبارهم تجاربهم الفاشلة فى الصراع المسلح مع المسلمين فى فترات مختلفة ، ومتعددة على امتداد التاريخ .

ومن ذلك .. ـ هزائمهم الساحقة فى شبه جزيرة أيبريا (إسبانيا والبرتقال) أو بلاد الأندلس حيث عبرت جيوش المسلمين جبال البرانس ، ووصلوا إلى أبواب فرنسا ، وأصبحت أوربا محاطة بالمسلمين من الشرق ومن الغرب بحزام حضارى متين .

ـ تجربة الحروب الصليبية ، والحملات التى أبيدت قبل أن تصل ، والتى فشلت عند وصولها ، وملوكهم الذين سقطوا أسرى ، وقد كشفت هذه الحروب التى كانت فى جوهرها صراعا بين قيم وحضارات عن خفة المبادىء التى تحرك لها الغوغاء والمتعصبون فى أوربا أمام مُثُل الأمة العربية المسلمة ، وقيمها الخالدة ، ـ كذلك فشلهم فى مواجهة الخلافة العثمانية الفتية وقد بسطت سلطانها على أوربا الشرقية كلها .

فالمواجهة العسكرية لم تحقق لهم شيئا فى الماضى ، ولن يستطيع أن تحقق لهم شيئا فى المستقبل ، فلم يعد أمامهم إلا أن يحاربوهم فى مصدر قوتهم واعتزازهم ، وهو دينهم ؛ ومحاربتهم فى دينهم

بأسلوب مباشر تستثير هممهم ، وتوقد عزمهم وتشعل عواطفهم . وتنبه غافلهم ، فاتجهوا إلى ضربهم فى لسانهم ، وماهى إلا مجرد أفكار علمية لإصلاح اللغة . التى تظاهروا بالإشفاق عليها . تعرض على الساحة العربية . ولهم من أذنابهم ، وحواريهم من يمسكون الزمام منهم ولن يعدموا بعض السذج الذين يستهويهم بريق الإصلاح والتجديد فإذا نجحوا فى هذا المخطط الرهيب ! ! ! قطعوا لسان الأمة ، ومزقوا وحدتها ، وحالوا بينها وبين تراثها ، واستعجم عليها كتابها : مصدر هداها وكرامتها ! ! ! وأمام هذه الخطة التى سأفصل مراحلها بعد أريد أن أقول إن هناك أصواتا منصفة حركها شرف العلم أن تنبه هذه الأمة لما يبيت لها ، وتحذرها من ايقاع اوربا فى فكرها وفلسفتها ، صاحب هذا الصوت هو «**أرنولد توينبى**» . **المؤرخ الإنجليزى** .

يقول بعد أن انتقد أوربا فى تصديرها لنظرية القوميات للعالم الإسلامى : وإننا لنأمل ألا نرى هذه الجرثومة تنتشر فى العالم الاسلامى على الاقل لأنه الوحدة السياسية والإجتماعية على مستوى ونطاق عالميين ، هما ضرورتان لسلامته . وسلامة الانسانية اليوم فى الحقبة الذرية النووية .. ثم يقول مشيرا بقيمة الفصحى فى وحدة العالم الاسلامى : إن هناك بلادا إسلامية عربية اللغة . وإذا كانت لغة التخاطب تختلف حسب المناطق فإن اللغة الفصحى واحدة من شواطىء الخليج العربى ، ومن حلب والموصل شمالا ، حتى الخرطوم ، وعدن ومسقط وزنجبار جنوبا ، جميع الكتب الصادرة فى القاهرة ودمشق وبيروت ، تقرأ فى هذه المنطقة الشاسعة كلها .

وحتى خارجها ، لأن اللغة العربية هى اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية ، حتى تلك التى تستخدمها فى التخاطب ، فهل من الضرورى أن يُجَزَّأ هذا العالم العربى إلى عشرين دولة مستقلة ، تعيش بعزلة تامة ، بعضها عن بعض ؟ وهل من الضرورى حقيقة أن نرى العالم العربى يتفكك ويتجزأ كما حصل مع الأسف للامبراطورية الإسبانية الأمريكية ؟ إن هذه التجزئة تعتبر من أخطر نقائص حضارتنا الغربية ، وسيكون مؤسفا حقا أن نرى الشعوب العربية تنسج على منوالنا فى هذه الناحية »

هذا هو توينبى بشرف العلم ، وأمانة الكلمة يحذر العرب من التورط من تقليد الحضارة الغربية ، وإثارة القوميات التى تفرق وحدتهم ، وتقطع ألسنتهم .

إننا نحس من خلال كلماته الإشفاق على أمة عظيمة ، وحضارة قويمة ، ووحدة راسخة ، ولسان مبين ذائع أن تنال منها عواصف الفكر الأوربى ، وأعاصير القوميات ، غير أن ملاحظة واحدة على هذه الكلمة المنصفة ، هى تعبير المؤرخ الكبير عن اللغة العربية بأنها لغة دينية .

وهذا التعبير غير مقبول منا ومن واقع لغتنا وتراثنا إن أريد به أنها لا تصلح إلا للتعبير عن بعض طقوس العبادات ، ومواعظ المناسبات ، كما هو الحال فى لغة الطقوس المسيحية لكن الرجل فى جملة ما قال كان أمينا فى تحذيره ، ويبقى بعد كشف المخطط التعرف على عدة أمور :

الخطوات المطروحة للتنفيذ :

- الدعوة الى العامية
- الدعوة الى ما يسمى باللغة الوسيطة
- تعبيرات خبيثة طرحوها عن طريق عملائهم على الساحة
- الدعوة الى الكتابة بالحرف اللاتينى
- الدعوة الى تجديد النحو والبلاغة
- تغريب الأدب

وسـائلهم :

- استعانوا بمدارس التعليم الأجنبى المنبثة فى مصر وأنحاء شتى من العالم العربى ، بجانب المراكز التبشيرية .
- الصحافة .
- الدعوة الى الاستغراب وربط مصر بثقافة اليونان وحوض البحر المتوسط .

الرجال الذين قاموا بالتنفيذ :

١ - المستعمرون أنفسهم .

٢ - طائفة الأذناب والعملاء .

٣ - المقلدون المفتونون بظاهر مدنيتهم .

بقيت نقطة هامة نشير اليها قبل ان نلج ميدان هذه الحرب على اختلاف مواقعها ، وتعدد أسبابها ووسائلها . هى أن هذه الحرب كانت سجالا ، فكانت أعين المخلصين لهم بالمرصاد ، تقف فى وجه المستعمرين ، وتطارد الأذناب ، وتنبه المفتونين ليتوبوا الى

رشدهم ، وليفيقوا من سكر الفتنة التى غشيتهم ، ولتنجلى عن بصائرهم سحائب الضلالة ، فيعرفوا اقدر الدين الحق ، وعظمة اللسان المبين وقديما قال المتنبى :

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض   يجد مرًّا به الماء الزلالا

ومن بعده قال البوصيرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن هنا سأشير إلى اصداء المقاومة ، مع حديثى عن الحرب الباغية وعمن أشعلوا نارها .

الفصل الثالث

المعركة بين العامية والفصحى

أيهجرنى قومى ، عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة؟!
سرت لُوثةٌ الافرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

حافظ ابراهيم

الاستعمار كالحرباء

ان ظاهرة الاستعمار التى داهمت العالم العربى والاسلامى ليست الا ترجمة عملية لاحدى صور البغى الصليبى ، تظاهرها اطماع يسيل لعابها الى ثروة العرب والمسلمين ومقدراتهم ؛ والاستعمار كالحرباء يملك قدرة عجيبة على التشكل ، وقدرة كبيرة على التلاؤم مع البيئة ، وهو يلبس لكل حالة لبوسها ، وفى ميدان المواجهة مع القوى الوطنية المخلصة له وسائل عدة ، وبيده اسلحة متنوعة ، وفى الميدان الصراع مع الفصحى تعددت اسلحته واختلفت انماط رجاله حتى إن منهم من كان يمقت الاستعمار لكن العتمة الفكرية التى اصابت تصوره من خلال معايشته لهم فى بلادهم جعلته يتجه فى بعض الامور لنصرتهم من حيث لا يدرى ؛ ومن ذلك قضية الفصحى والعامية .

بداية هذه الدعوة

بدأت هذه الدعوة على يد شاب تعلم فى الازهر ، ثم ذهب على رأس أول بعثة إلى فرنسا ليكون إماما لها ، فتعلم الفرنسية وأتقنها . كان هذا الشاب كما تشهد كتبه وتاريخه وطنيًا محبا لبلاده ، راغبا فى الإصلاح ، ساعيا الى النهضة ، يملك الذكاء ، كما يملك حسن النية ، وسلامة الطوية ، ألف بعد عودته لمصر كتابا سماه : أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق إسماعيل عام ١٢٨٥هـ ـ ١٨٦٨ م ذكر فيه فضل العربية ، ووجوب إحيائها ولكنه ضمنه هذا الكلام الذى تحس معه بعجب ودهشة ، وتدرك تناقضه

الصارخ مع شرف القضية التى يدعو لها ، قال : « إن اللغة المتداولة فى بلد من البلاد ، والمسماة بالدارجة ، التى يقع بها التفاهم فى المعاملات السائرة ، لا مانع أن يكون لها قواعد ، قريبة المأخذ تضبطها ، وأصول على حسب الإمكان تربطها ، ليتعارفها أهل الإقليم ، حيث نفعها بالنسبة اليهم عميم ، وتصنف فيها كتب المنافع العمومية ، والمصالح البلدية »[1]

رحم الله الشيخ رفاعة الطهطاوى !! ما معنى تقعيد اللغة الدارجة ؟ وما النفع العميم ؟ وماذا يراد بالتصنيف بها ؟ إنها لمأساة فعلا ؛ ويبدو أن هذا الرجل الوطنى ـ كما يقول الشيخ شاكر ـ كان فيه مع ذكائه غفلة ، واستغل أحد دهاء القوم فى هذا الرجل حبه للإصلاح ، فأوحى إليه بما أوحى [2] لكن النتيجة التى ترتبت على هذه الكلمات لم تكن شيئا مذكورا ، فقد أحسن الناس الظن بالرجل ، ومن حقهم هذا ، ولم يتوقفوا أمام كلماته ، إذ أنه لم يدر بخلدهم أنه يعنى النتيجة الخطيرة التى تترتب على الأخذ بكلماته وهذا صحيح ، ومن ناحية أخرى كان الواردات على صعيد الحياة المصرية والعربية لغير مصلحة هذه الدعوات ، إذ نشطت مطبعة بولاق بالقاهرة المحروسة ، كما كانت تسمى إذ ذاك فى إخراج درر التراث للأمة العربية والاسلامية ، تعلن على الجميع ذخائر هذا اللسان وكنوزه ، واستمرت على هذا النهج ، فكانت عقبة كئودا فى وجه الجهود التبشيرية ، والاستعمارية ، وجهود المضلين ،

---

(١) راجع كتاب رفاعة الطهطاوى أنوار توفيق الجليل فيما يختص بإصلاح اللغة .
(٢) راجع أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر ص ١٦ .

والغافلين الذين تولوا كِبْرَ هذا الإثم فيا بعد ، وكانت النتيجة على غير ما يريدون أوت الى ظلاله ، وعاشت فترة فى كنفه ورحابه وعندما كانوا يحاولون ابعادها عنه تثور ثائرة الأزهريين لتستردها لحوزته ؛ وأسوق هذا الخبر الظريف الذى نشرته مجلة المصور سنة ١٩٢٧ م .

أضرب الأزهر عندما وافق البرلمان على الغاء المرسوم الصادر سنة **١٩٢٥** م والذى ينص على ضم مدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم ، ومدرسة المعلمين الأولية الى الأزهر. رفض الطلبة تلقى الدروس . وقاموا بالمظاهرات . وقد اتخذت العاصمة التدابير اللازمة لمنع انتشار الإضراب »[1] وصارت سندا للأزهر يقوم بالتدريس فيها فضلاء الشيوخ والعلماء ، منهم الشيخ حسين المرصفى صاحب الوسيلة الأدبية .

كما كان خريجوها سندا للفصحى وردءا لها ، كما ظهر فى هذه الأثناء الشاعر العظيم محمود سامى البارودى الذى رد الروح لشعر العربية ، وأسمع الناس فى أواخر القرن التاسع عشر لغة حية ، مؤثرة ، رأوا فيا سمعوا النابغة ، وعنترة ، والكميت ، وأبا تمام ، والمتنبى يكلمونهم فى أحداث عصرهم .

وعودة الشعر بهذه الصورة تضع صعوبات شتى على طريق المخطط الخبيث ، لكن عين البغى ساهرة لا تنام .

لقد ساء الأفاعى حركة الإحياء : بنشر التراث ، وقيام

---

(١) مجلة المصور - فبراير - ١٩٢٧م .

دولة الشعر « **ولهلم سبيتا** » كان يقبع فى جدران دار الكتب المصرية الماني خبيث ، نزل مصر ، وتعرف على الأحياء الشعبية ، ولغاتها الدارجة ، ذلكم هو « ولهلم سبيتا » خشي أن تستعيد اللغة العربية قوتها ، فألف كتابا سماه : قواعد اللغة العامية فى مصر. كانت محاولة منه لتقعيد العامية ، لكن مقدمته كشفت سوء نيته ، وخبث طويته ، يقول فى مقدمته : وأخيرا سأجازف بالتصريح عن الأمل الذى راودنى على الدوام طول مدة جمع الكتاب ، وهذا أمل يتعلق بمصر نفسها ، وحس امرا هو بالنسبة لها والى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت ، فكل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف الى اى حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ، ولغة الكتاب .

ثم يواصل حديثه فيقول : وطريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع اكبر قسط من اللوم فى كل هذا ، ومع هذا فلم يكن الأمر سهلا لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة إن لم تكن هى لغة الحديث الشائعة فهى على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة بدلا من أن يجبر على الكتابة بلغة هى من الغرابة بالنسبة إلى الجيل الحالى من المصريين مثل غرابة اللاتينية بالنسبة للإيطاليين . وبالتزام الكتابة الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقى ، ويتطور » [1]

هذه كلمات المصلح العبقرى « ولهلم سبيتا » فى مقدمة كتابه

---

(١) راجع تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر د . نفوسة زكريا . وراجع أباطيل وأسمار ص ١٦٢ .

تأمل معى واعجب ؛ إنه مَعْنِىٌّ بأمر اللغة فى مصر ، ويملك أملا كبيرا يراوده

ثم يحاول أن يحل مشكلة اللغة التى هى قضية حياة أو موت بالنسبة لمصر.

لقد أدرك وحده بعبقريته أمرًا غفل عنه أبناء اللغة المتمرسون بها ، وهو البعد الشاسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة ! ! ما نواحى النشاط التى تأثرت يا مستر « سبيتا » ؟ وانظر إلى وصفة الكتابة العربية بأنها عقيمة وإطلاقة على اللغة الفصحى وصف « الكلاسيكية » كأنها والكتاب الحق الذى كتب بها صورة من الماضى العتيق لابد من تجديده ! ! وهذه الموازنة الظالمة ، والمشابهة الباغية التى عقدها بين اللاتينية والعربية .

لقد أوغل الرجل فى الوهم ، واشتط فى تصوراته الفاسدة ، وأقحم نفسه فى أمر لغة لا يحسن خصائصها ، ولا سبيل له لإدراك محاسنها ، إنه يحرص على أن يتطور الأدب وبصفعة الواقع بنهضة أدبية فى ميدان الفصحى ، ويتوالى أعلام الشعراء والكتاب ، والعامة من الناس يحفظون ، ويرددون ما يقولون ويتحول الشعر الفصيح الى أغانٍ حماسية ، وأهازيج وطنية فى ميادين المقاومة .

حركة المقتطف عام ١٩٨١ م

قامت حركة المقتطف فى بيروت أول الأمر تردد ما قاله « سبيتا » فى القاهرة وللمقتطف والمعظم ، وأصحابها فيما بعد دور بارز فى تمجيد الاستعمار ، ومناداة الحركة الوطنية ، وأسرفوا فى هذا

حتى دعوا لما يسمى بالحزب الوطنى الحر ، وتهجموا على مصطفى كامل [1] وكانت حركة المقتطف بالغة السوء ، لأنها خدعت الناس بأوهام استعمارية زائفة ، ومن ناحية أخرى فإن دعوتهم صدرت عن عربى يملك عروبة اللسان ، لكن الأمر ، كما قال المتنبى :

عربى لسانه ، أعجمى رأيه فارسية أعياده

ومجيء حركة المقتطف بعد كتاب « سبيتا » بعام واحد ، وفى وقت يتأهب فيه الاستعمار الإنجليزى للانقضاض على مصر ، قلب العروبة ، وموئل الأزهر لم يكن مجرد مصادفة ، وإنما يقول الشيخ محمودشاكر : لست أجد هذا اتفاقا عجيبا من ألمانى ، اعجمى اللسان ، مقيم فى دار الكتب المصرية ، وعربى اللسان مقيم فى بيروت ، جيث اكبر مؤسسة تبشيرية أنشئت سنة ١٨٦٥ م بأموال الإنجليز الأمركيين ، وتخرج هو على أساطين التبشير فيها ، وهى « الكلية السورية الإنجيلية » ، المعروفة اليوم باسم الجامعة الأمريكية .

معنى هذا أن الأمر صدر من جماعات التشير ، ليبدأ « سبيتا » فى القاهرة ، والمقتطف فى بيروت ؛ لكن ما كاد يخرج المقتطف على الناس فى بيروت بهذا الضلال فى عدد تشرين الثانى سنة ١٨٨١ م حتى سارع بالرد عليه رجل غيور ، وهو الشيخ خليل اليازجى (لبنانى نصرانى) فكتب فى العدد التالى من المقتطف الصادر فى كانون الأول سنة ١٨٨١ م مشير الى نقطتين :

---

(١) راجع المقطم عدد ٢٥ من يونيو سنة ١٩٠٧ ، والاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث ص ٩٠ وما بعدها .

أولاهما : أن اتخاذ العامية للكتابة ، فيه هدم بناية التصاريف العربية من أساسها وإضاعة كثير من جهود المتقدمين ، ثم تكلف مثلها فى المستقبل .

والأخرى : هى أن عامة الناس وجها لهم ، يفهمون العربية الصحيحة الفصيحة ، ويتذوقونها على عكس ما يدعيه خصوم العربية .

وهناك ملاحظة على المقتطف يرجع الفضل فى إدراكها للشيخ محمود شاكر فى كتابه « أباطيل وأسمار » ، وهى جديرة بالاهتمام ، وتتطلب مزيدا من الوعى بمخطط القوم ، وأن وراء هذه الدعوات جهودا تبشيرية مكثفة ، تتحرك بدهاء ، وتغزو قلاع هذه الأمة بحسن تأت وتلطف ، موجز هذه الملاحظة : أن المجلد السادس من المقتطف ، الصادر عام ١٨٨١ م ، ابتداء من حزيران (يونيو) سنة ١٨٨١ م حتى نيسان (إبريل) سنة ١٨٨٢ م طبع من كل عدد طبعتان : طبعة فيها مقالات الدعوة إلى العامية ، والردود عليها ، وهى طبعة مطولة تقع فى نحو ٧٦٠ صفحة ، وطبعة مختصرة فى نحو ٣٢٨ صفحة عارية من هذه المقالات تماما ، وتفسير هذا الامر بلا ريب عند أصحاب المقتطف ، وإن كان ما وراءه غير بعيد عن الأفهام ، لكنه الختل والخداع .

لكن الذى نسجله هنا أن أصداء هذه الدعوة لم تستمر طويلا ، إذ شغل القوم عن حركة المتقتطف بالداهية الدهياء وهى وقوع مصر فى براثن الاستعمار الانجليزى بعد هزيمة عرابى ، واستيلاؤهم على مرفق التعليم ، وضمه الى وزارة الاشغال العامة ثم

ظهرت حلقة أخرى فى المخطط .

إذ لم ينته الأمر عند حركة المقتطف ، بل أتيحت ـ فى ظلال الاستعمار الانجليزى ـ للمبشرين وأعداء الفصحى فرصة أوسع وأكبر .

كان فى مصر المانى آخر يدين بالولاء للإنجليز اسمه «كارل فولرس» ألف كتابا سماه : «اللهجة العامية الحديثة فى مصر سنة ١٨٩٠ م ، ثم ترجم الى الانجليزية سنة ١٨٩٥ ، وفى هذا الكتاب ردد هذاالرجل الأفكار التى رددها «سبيتا» من وصف العربية بالجمود والصعوبة ، وتشبيهها باللاتينية ، كما شبه العامية بالابطالية ؛ ثم جاء الداهية وليم ويلكوكس [1] وويلكوكس مهندس انجليزى ، مبشرا أو مَنَصِّر بتعبير أدق .

ألقى محاضرة ، نشر مضمونها فى مجلة كانت تسمى الأزهر سنة ١٨٩٣م [2] ، وكان أمر المجلة قد آل إليه ، لبس فى محاضرته ثوب المصلح ، الوفى لمصر ، الحَفِيّ بلغة العرب الراغب فى نهضة علمية واسعة لهذه الأمة ، ومن هذا المنطلق الكاذب نفث سمومه .

---

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية ، وأباطيل وأسحار ص ١٦٥ .

(٢) هذه المجلة انشئت عام ١٨٧٧ الموافق ذى القعدة سنة ١٣٠٤هـ باسم (الصحة) أنشأها حسن بك رفقى ، المفتش بمصالح الصحة العمومية ، وإبراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية ، ومهمتها معالجة بعض الأمور الطبية ، وفى افتتاحية العدد الأول من السنة الثالثة أعلن المؤسسان خبر تغيير اسمها إلى الأزهر لما له باع طويل . وتاريخ مديد مجيد فى خدمة المعرفة كان ذلك فى أغسطس ١٨٨٩ وفى عدد ديسمبر ١٨٩٢ أعلن المؤسسان نقل امتيازها إلى وليم ويلكوكس الذى استغلها لحرب الفصحى . ونشر فيها محاضرته المشار إليها . ومن هنا يتبين براءة الأزهر الشريف ، وأن اسم الأزهر استغل فقط .

زعم فى محاضرته أن الذى عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم الفصحى ودعا الى التأليف بالعامية ، وقال للناس : وما اوقفنى هذا الموقف إلا حبى لخدمة الإنسانية ، ورغبتى فى انتشار المعارف ، وما أجده فى نفسى من الميل اليكم ، الدال على ميلكم لى ، وبهذا الكلام المعسول أراد هذا الخبيث أن يقنع الناس بما يقول ، ثم يمضى ممعنا فى وقاحته ، فيقدم هذا الاعلان : من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية ، وكانت موافقة جدا يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات أفرنكية وإن كثر المتقدمون يعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولية .

عجيب سخف هذا الرجل ومغالطته المفضوحة إذ كان هو ـ وهو الأعجمى ـ استطاع أن يخاطب القوم بالفصحى ، وتيسر له ذلك ، فكيف يستكثر عليهم أن يفهموها وهى لغتهم ؟!! وما باله يضلل ، فيتهمها بالصعوبة والجمود ؟! وما المعارف التى تنقص هذه الأمة التى تلمذت بلاده ، وأوربا كلها على تراثها ؟! إن كانت المعارف قد تأخرت بعض الوقت على أرض هذه الأمة ، وقعدوا دون الغاية التى اقتحمها أجدادهم فالمسئول عن هذا وجود هذا المبشر ، وقومه على هذا التراب الطيب ، لكنه التضليل الذى وجد سوقا رائجة بعد أن ضعفت معنويات الأمة الى حد ما بعد الاحتلال الباغى ، وهزيمة القوى الوطنية وتشريدها ، وبرغم هذا استمرت المقاومة ، وتصدى الْغُيُرُ من أبناء الأمة لهذا الضلال فظهر على الساحة عدد من الشعراء الكبار ، يؤكدون بطريق غير مباشرة عظمة هذا اللسان العبقرى ، كما سارت حركة إحياء التراث عن

طريق مطبعة بولاق ، والمطابع الأخرى تقدم للناس كل مجيد وعريق من التراث ، وأخذ الشيخ محمد عبده وغيره من الأعلام يدعون لإصلاح لغة الجرائد ، وأنشأ مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية لتحمى نشء الأمة ، وشبابها من السقوط فى المناهج التى وضعها الانجليز للمدارس الحكومية ، وفزعت أجهزة التبشير مرة أخرى .

لقد صرخ ويلككس فى واد ، ونفخ فى رماد ، وذهبت دعوته سدى وجاء « سلدن ولمور » وهو قاض إنجليزى فى المحاكم المصرية ، وجد أن دوره على منصة القضاء لا يحقق أهداف قومه ، كما ينبغى ، فجاء ليؤدى دوره فى الحرب على الفصحى ، وليحكم عليها بالإعدام ! ! ! فقدم دعوته للعامية فى إطار جديد ، وبوجه جديد ؛ ألف سنة ١٩٠١م كتابا سماه « العربية المحلية فى مصر » دعا فيه إلى اتخاذ العامية لغة أدبية ، وحذرنا إذا لم نفعل ذلك « فإن لغة الحديث ولغة الأدب ستنقرضان ، وستحل محلها لغة أجنبية ، نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الاوربية » ، ثم دعا الناس الى اعتبار العامية هى اللغة الوحيدة ، وذكر لهم أنها الأقرب إلى اللغات السامية منها إلى لغة القرآن والأدب ، وطالب الصحافة بأن تخطو الخطوة الأولى فى هذا المضمار .

والذى يثير الدهشة والعجب معا أن المقتطف سنة ١٩٠١ وقد انتقل إلى مصر كان أول من سارع إلى تقريظ الكتاب والثناء عليه ، والإشادة بالفكرة بل إن عبارته كشفت اللثام عن نواياه السيئة ؛ إذ قال فيما قال : وكثيرا ما قلنا للأوربيين والأمريكيين الذين ذكرونا

فى هذا الموضوع : إنه لو اهتم محمد على باشا ، جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحلية لمصر والشام ، وجعل الكتابة بها وحدها ، لما وجد فى ذلك كبير مشقة .

هكذا يَأسَ أصحاب المقتطف على الفرصة الضائعة ؛ وأن محمد على لو وضع فى اهتمامه هذا الأمر لأنجزه بكل قوة دون أن يخش أحدا ، لا سيما وأن العربية ليست لسانه الأصلى . وفات هؤلاء الحاقدين أن محمد على برغم عجمته لم يكن ليفعل هذا ، فله من دينه مايمنعه ، وقومه الترك إذ ذاك يكتبون لغتهم بالحرف العربى ، ثم ينتهى أصحاب المقتطف إلى التحريض على قطع لسان هذه الأمة مبينين لمن يهمهم الأمر من سادتهم أن هذا الهدف لن يتم لهم « إلا إذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة ، عضدت الساعين فى ضبط اللغة المحلية وكتابتها »[1] .

هذا هو المقتطف وأصحابه يذاكرون الأوربيين ، ويستعدونهم على لسان أمتهم ومن هنا يستبين لنا أن قضية اللسان العربى قضية إسلامية ، كما أنها قضية تراث يراد لا ينتفع به أهله وكفى .

واشتدت المقاومة :

فى هذه الآونة كانت الحركة الوطنية على أشدها تحارب المستعمر فى كل اتجاه بدأت الدعوة إلى انشاء الجامعة المصرية .

كما كانت هناك دعوة قائمة لدعم التعليم الأهلى وإصلاح اللغة .

---

(١) راجع أعداد المقتطف أواخر عام ١٩٠١ بعد انتقاله لمصر . وراجع تاريخ الدعوة إلى العامية .

وخرج حافظ إبراهيم على الساحة الأدبية ، وقد تأجج وجدانه بما سمع من ضلالات القوم بقصيدته الرائعة التى يتحدث فيها على لسان اللغة العربية ، تنعي فيها حظها بين أهلها ، وهي من فرائده الخوالد ، التي لا زلنا نحس بجدة معناها وحيوية فكرتها ، تحدث عن مزايا هذا اللسان فقال :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
وسعت كتاب الله لفظا وغايةً وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترعات ؟

ثم يشير الى مؤامرة المبشرين والمستعمرين وأذنابهم ، فيقول على لسان لغته :

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادى بوادى فى ربيع حياتى ؟
ولو تزجرون الطير يوما علمتمو بما تحته من عثرة وشتات

ثم تعاتب اللغة أبناءها فتقول :

أيهجرنى قومى – عفا الله عنهم – إلى لغة لم تتصل برواة ؟!
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

والشاعر هنا يعنى اللغة العامية ودعاتها ، وعلى لسان اللغة ينتقد الصحافة فيقول :

أرى كل يوم فى الجرائد مزلقا من القبر يدينني بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتى

ثم تتذكر التاريخ المجيد فتقول :

جزى الله فى يطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتى
حفظن ودادى فى البلى وحفظته لهن بدمع ، دائم الحسرات

ثم تصدر قرارها الى بنيها فتقول :

الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى وتنبت من تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بممات

يعقوب صنوع وابو نضارة

لا أريد أن أترك هذه الفترة دون أن أشير الى موقفين متناقضين فى هذه القضية :

أولهما : موقف يعقوب صنوع .

والآخر : موقف الهلال وجورجى زيدان .

أما أولهما فهو يهودى مصرى ولد سنة ١٨٣٩ ، ومات فى باريس سنة ١٩١٢ . أصدر الرجل صحيفته « ابو نضارة » سنة ١٢٩٥هـ وكانت بالعربية الفصحى ثم أغلقها الخديوى اسماعيل ، لما فيها من نقد مُرٍّ لاذع ، فعادت للصدور فى باريس يوم الجمعة ٢١ من مارس سنة ١٨٧٩م باللغة العامية .

وبهذا كان يعقوب صنوع ـ وليس هذا غريبا ـ أول صحفى استجاب للدعوة الضالة ، وأسهم فيها بمحاولة تحويل دعوات المبشرين إلى واقع وتطبيق ، وكان تظاهره بمناصرة الحركات الوطنية ، والسخرية بالحكام وسيلة لذر الرماد فى العيون وصرف الأنظار عما يريده من إفك كبير .

قال فى افتتاحية العدد الصادر فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ ـ

بالعامية المصرية : «ولما بلغنى بأن صدر أمر من ناظر الخارجية بقفش وكسر الصفارة الساعية فى استحصال التمدن والحرية ، يارب نور عقلى وفهمى ، وانصرنى على الواد مصطفى فهمى اللى أمر بتعطيل صفارتى البهية ، فتأسفوا أبناء مصر أجمعين ، وظنوا أن علينا انتصر الظالمين ، فشر والله العظيم » إلى آخر هذا السخف المتكلف الذى يثير الاشمئزاز ، وأؤكد أنه لو قرأ عوام مصر هذا الكلام لن يستسيغوه ، ولن يفهموه ، لكنه التضليل .

ثم يكتب فى العدد الصادر فى ٢٦ من مارس سنة ١٩٨٢م الافتتاحية بالعامية الشامية ، يقول : شو هل حكى ياخيو ،ده مو كلام محرر بصير ، فرنجى جنابك ، حاشا ، بقى شو هل ذم فى الأمير .... الخ [١] .

مجلة الهلال

أما مجلة الهلال ، فكان موقفها يختلف تماما ، وكانت على غير المتوقع منها ؛ هى لم تشهد الجولة الأولى من هذا الصراع فى أواخر القرن التاسع عشر ، لأنها لم تكن أنشئت بعد ، لكنها وقفت عند انشائها ضد دعاة العامية .

والغريب الذى يحتاج إلى تفسير هو أن هواها فرنسى تبشيرى ، صليبى ، هكذا كانت ، ولهذا أنشئت ، لكن هكذا وقفت !!! وسأشير بايجاز إلى أبعاد هذا الموقف ، وإن كانت أفسحت فيما

---

(١) تحقيق فى صحيفة الشرق الأوسط . العدد الصادر فى ١٩٨٣/١١/١٦ تحت عنوان : « دعاة العامية الذين يطالبون بالتخلى عن الفصحى » .

بعد صدرها للأذناب أمثال « سلامة موسى » ، قدمت فى مطلع القرن العشرين ، وبالتحديد سنة ١٩٠٢ استفتاء مع عدد من المستشرقين والأدباء العرب ، وجاء فى الاستفتاء هذا السؤال : ما مستقبل اللغة العربية فى نظركم ؟ وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟ ، وجاءات الإجابات على النحو التالى :

المستشرق الايطالى د. غويدى

دعا إلى أن « تكون لغة كتابية سهلة يفهمها الجمهور العربى ، وتكون مستقلة عن اللهجات العامية المختلفة ، أما الإنشاء الخيالى المفخم ، وأساليب البديع فيجب أن تخصص للكتب ذات الصبغة الأدبية »

ورأى هذا المستشرق ـ كما نرى ـ يدعو إلى مزيد من الخلط والاضطراب ؟ إذ يترتب عليه أن يكون على الساحة العربية ثلاث لغات : لغة أدبية ـ لغة سهلة للجمهور ـ لغة عامية .

المستشرق الأمريكى : ريتشارد لوتهيل

يعتبر أن « اللغة واحدة والخط واحد » برغم اختلاف اللهجات ، ويؤكد أن « العربية من هذا القبيل أشبه بالانكليزية التى إجتازت البحار ، وقطعت القارات ، وغدت أساسا لمدينة جامعة » ثم يقول : « ومن الغبن والعبث أن يحاول أحد ـ كما حاول بعضهم فى الماضى القريب ـ أن يقنع الأقوام الناطقة بالضاد بأن تستعيض عن خطها بالخط الاوربى فإن حرفا تكتب به العربية ، والفارسية ، والتركية ، والأوردية وغيرها لجدير استعماله بالشعوب الناطقة

بالضاد » .

إنها كلمة منصفة حقا من عالم عرف قدر هذا اللسان ، والحرف الذى كتب به وأكبر الظن أن الأذناب من أبناء هذا اللسان الذين ساروا فى موكب التضليل بهتوا عندما سمعوا كلمة الحق من سواهم فى لسانهم الذى جهلوا قدره .

الشاعر خليل مطران

يرى أن اللغات العامية ستبقى مابقى اختلاف الزمان والمكان ، ومادامت لا تتوحد الدولة العربية فلن تتوحد اللغة العربية مجتمعة فى الفصحى أو المبتذلة » ثم يستدرك قائلا : « ولكن هذا الاختلاف عينه هو الذى كان وسيكون أكبر عون وسبب للعناية باللغة الفصحى ، وتعميمها بين طبقات المتعلمين فى كل الأمم لتجعل وسيلة التعارف ، ولا ننسى أن الاستمرار فى تعليم اللغة الفصحى ، وتعليمها ، والاهتمام بتسهيلها ، وتقريبها ، وتعميمها هو أنها لغة القرآن الشريف »

محمد كرد على

يبدى هذا التصور فى شأن مستقبل الفصحى فيعتقد أنه « لن يمضى قرن أو قرنان حتى تتوحد اللهجات العامية ، لأن الفصحى آخذة فى التغلب عليها » .

جبر صنومط استاذ اللغة العربية بالجامعة الامريكية فى بيروت

قال : « فى كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة ، ولكن اللغة الفصحى لغة المعلمين ، والمتعلمين ، وهى لغة المدارس ،

والجرائد ، والكتب ، وإذا بقي الاسلام وسيبقى ، فلغة القرآن والحديث وسائر الآداب العربية منذ عصر الرسالة الى اليوم أقوى من سائر اللغات الأوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة ، ولذلك ستبقى هذه اللغة الشريفة ، كما كانت لغة العلم ؟ والمتعلمين ، والأدباء والمتأدبين ، ولغة الصحافة والمؤلفين إلى ما شاء الله » ، وتلك كلمة طيبة لا تحتاج الى تعليق .

نقولا حداد ، صاحب مجلة « السيدات والرجال » وصاحب كتاب « علم الاجتماع »

يقول : متى صارت العربية لغة التعليم ، وعم التعليم الأهلي الأمة كلها تغلبت اللغة الفصحي على اللهجة العامية بحكم الطبع ، ترى الشاهد على ذلك الآن في كلام المتعلمين والطلبة ، فإن كلامهم يبتعد عن العامي ، ويقرب من الفصيح » .

أنطون الجميل ، رئيس تحرير الأهرام

يقول : أما اللهجات العامية ، فلا نعتقد باضمحلالها ، وتغلب الفصحى عليها ، غير أن نشر اللغة الفصحى ، ونشر التعليم بين هذه الأقوام مما يعمل على ازالة الكثير من هذه الفوارق ، فالطبقة الراقية في مصر مثلا أصبحت تتكلم بلا تكلف ، ولا تصنع لغة مضبوطة تكاد تكتب »[1]

هذه آراء بعض المستشرقين ، والأدباء ، والصحفيين ، تقترب

---

(١) الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٢م .

من الحق ، أو تبتعد عنه قليلا لكنها تكاد تجمع على ضرورة الفصحى ، ولذلك سطرت المجلة هذه النتائج الهامة للاستفتاء :

١ ــ إن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث ، وسائر كتب الدين .

٢ ــ إن العربية ليست غريبة على أفهام العامة الا اذا أريد التعقيد ، واستخدام الالفاظ الغريبة ، أما لغة الانشاء العصرية ، فهى شائعة فى الصحف والمجلات ، يفهمها العام والخاص .

٣ ــ إنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية ، لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرا من الفرق بين الفصحى والعامية .

٤ ــ إن الزعم بأن اللغة العربية بدع فى اللغات بامتياز اللغة المكتوبة فيها عن اللغة المحلية زعم باطل ، فالإنجليز مثلا يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم ، وكذلك الفرنسيون ، والألمان ، وغيرهم من شعوب أوربا .

٥ ــ إن الذاهبين إلى أن تتخذ كل أمة عربية لهجتها العامية ، هم القائلون بانحلال العالم العربى وتشتت شمل الناطقين بالعربية .

هذه هى نتائج الاستفتاءات كما استخلصتها مجلة الهلال « مطلع هذا القرن وهى كما نرى ايجابية لصالح الفصحى ، كما نرى فيها دحضا لكل شبهة آثارها أنصار العامية ، فهل ظلت الهلال على هذا النهج ؟! هذا أمر سنعرفه بعد » .

لطفى السيد ، ومرحلة أخرى فى الدعوة إلى العامية

ولد لطفى السيد سنة ١٨٧٢ ، وتوفى سنة ١٩٦٢ ، ونال

شهادة الحقوق سنة ١٨٩٤ ، وتولى رئاسة تحرير « الجريدة » التى كان يملك امتيازها مع عدد من رجال السياسة .[١] كان معروفا بمربى الجيل ، والمعلم الثالث ، وله اهتمامات بفلسفة أرسطو ، وصاحب شعار « مصر للمصريين » .

موقفه من هذه القضية عجيب ومتناقض ، ولعل الدارس لهذا الرجل ، وتاريخه الحافل يفسر لنا تناقضه فى قضية الدعوة إلى العامية . ومظهر تناقضه فيما يأتى :

كتب فى « الجريدة » بتاريخ ٢١ من أغسطس سنة ١٩٠٩ تحت عنوان « فى إنكلترا أيضا » يذكر فيه مارآه من تمجيدهم لشاعرهم شكسبير ، قال : « على ذكر الشاعر شكسبير ترد على خاطرى أنى سمعت أنه استعمل من اللغة الإنجليزية عشرين ألف كلمة ، وأن فى بعض أساليبه خفاء على كثير من العامة ، ولكنى لا أصدق أن أحدا سمع أنه رمى بالتقعر بحجة أنه لم يقتصر فى كتاباته على مئات الكلمات التى تكفى للتعبير عن المقاصد فى اللغة الإنجليزية » ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعرى من غريب اللغة ، ثم يقول : « وإنه على ذلك يستحيل على رجل يذوق طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتقعر » ثم يقول : « فما بالنا فى بلد نجد كل يوم لهذه الكلمة رنينا خبيثا فى الآذان ، بل نراها على سوء استعمالها ، وقبح مدلولها ، تسيل بسهولة على كثير من الالسن كلما صادف بعضهم فى الكتب ، أو على الجرائد كلمة يظنها غريبة ، وماهى بالغريبة إلا

---

(١) هم محمد محمود ، وعمر سلطان ، وأحمد حجازى ، ومحمود عبد الغفار ، وهم من أعلام السياسة المصرية حينذاك .

عنده » ... ثم يقول : « إذا كان شكسبير كما سمعت قد استعمل عشرين ألف كلمة ، مع أن راسين على غناه لم يستعمل إلا أقل من أربعة آلاف كلمة ، فأولى بالعربى ألا يحد لغته الفسيحة بحدود ما يسمع منها فى ميدان باب الخلق ، أو سوق الخضار[1] إن لم يكن التوسع فى الألفاظ للمعانى ، ولا لمنفعة الأدب ، ولا لخدمة اللغة ، فليكن على الأقل لخدمة القرآن الذى بات الكافة لا يفهمون معنى ألفاظه ، ومن واجبهم أن يفهموه ، فإنه إنما يتلى ليفهم ، لا يعلم إلا الله متى نرى شوقى وحافظ بالعين التى يرى بها الإنكليز شعراءهم ، بل متى نحب وطننا ، ولغتنا وآدابنا ؟ ومتى يكون للحق سلطان على نفوسنا ؟ حتى لا نتخذ الجد لعبا ، ولنتعلم حسن الظن ، وصدق الانتقاء »[2]

بهذه الحماسة البالغة يدافع عن الفصحى ، ويستثير الهمم لتمجيدها ، والحفاظ عليها ، وتكريم شعرائها ، ولا آخذ عليه فى تلك الكلمة الطيبة التى تحمل دفاعا صادقا عن لغة الكتاب العزيز إلا عبارة « الذى بات الكافة لا يفهمون معنى الفاظه » أرى فيها نوعا من التسمح ، أو التجاوز ، وهو معروف فى الأساليب الصحفية ، إذ أنى لا أتصور أن الأمة فى هذا العصر الذى فيه شوقى وحافظ وغيرهما وصلت إلى درجة عدم الفهم للقرآن بصورة شاملة لكننا نرى مربى الجيل بعد أربع سنوات تقريبا يكتب فى صحيفة « الجريدة » نفسها أربع مقالات خلال شهرى إبريل ومايو سنة

---

(١) أماكن شعبية فى القاهرة .

(٢) الجريدة ـ العدد الصادر فى ١٩٠٩/٨/٢١ .

١٩١٣م تتنافى تماما مع ماكتبه منذ أربع سنوات ، بل إنه ردد ما قاله المبشرون الأربعة قبله « سبيتا ــ فولرس ــ ويلككس ــ ولمور » وكان بهذا أول عربى يقلد القوم ، ويجترئ على ترديد مقالتهم الضالة ، من غير أن يكون ذنبا للاستعمار ، ولا عميلا له .

بدأ حديثه فى المقالات السبع بالكلام عن غنى العربية وتراثها فيما يتصل بالمعانى ، والمسميات القديمة ، وفقرها فى المعانى الجديدة والمصطلحات العلمية ، وهى الفكرة التى رد عليها حافظ إبراهيم فى قصيدته السابقة ، ثم طالب بما يأتى :

على الكتاب أن يتسامحوا فى قبول المسميات الأجنبية ، ويدخلوها فى كتابهم ، كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة ، ثم اعترف بأن هذا قد يخلق الفوضى ، لكنه استدرك قائلا : إنها فوضى نافعة ، ولا خطر على اللغة منها ما دامت ستخرجها من جمهورها إلى التطور الراقى الذى يوافق أطماع الأمة .

طالب بأن يحتضن الكتاب المفردات العربية الموجودة فى اللغة العامية ، فيردوا ما تشوه منها إلى أصله العربى ، ويستعملوه صحيحا ، ومالم يشوه يستعمل على حاله ، ويستثنى من ذلك ما ابتذل من الألفاظ .

إلى هذا الحد نرى عددا من المقترحات لإصلاح اللغة ، وتطويرها ، وإخراجها من جمهورها ــ كما تصور ــ باتباع عدد من الوسائل المتكلفة التى لا تثبت عند التطبيق ، مع حرص على اللغة فى حد ذاتها ، ورفض المبتذل من العامية .

هى إذن عملية ترقيع لغوى ، شأن من يملك ثوبا سليما يؤدى

مهمته فى حماية الجسم على احسن وجه فيعدل عنه إلى ثوب مرقع ، وهو التعبير نفسه الذى استخدمه حافظ ابراهيم فى قصيدته قبل أن يقول السيد اقتراحاته ببضع سنين :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

لكن الذى يملأ النفس دهشة وعجبا أن ينتهى مربى الجيل فى مقالاته الى هذا الكلام العجيب : وأقرب الطرق إلى هذا الصلح (يعنى بين العامية والفصحى) أن نتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية ، ومتى استعلمناها فى الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف ، وجعلنا العامة يتابعون الكتاب فى كتاباتهم ، والخطباء فى خطاباتهم ، والممثلين فى رواياتهم .

وهكذا ينتهى الرجل إلى نتيجة غريبة تتناقض تماما مع الحق الذى صدع به من سنوات كما تتناقض مع مكانته فى العلم والأدب والفلسفة ، وتتناقض مع المنطق الذى حمل لواءه ، فطريق النهضة والرقى أن تنهض بمن هو دون ، لا أن تهبط بمن هو أعلى وقد قيل للرافعى : أنزل بأسلوبك إلى مستوى القراء فقال : ولم لا يرتفع القراء إلى مستوى ما أكتب ؟! وقيل لأبى تمام : لم لا تقول مايفهم ؟ فقال : ولم لا تفهم ما يقال ؟ فاذا نزلنا إلى حضيض العامية حكمنا بالاعدام على تراث مجيد وعريق ، وتكون العودة الى الفصحى بعد هذا التردى أمر بعيد المنال .

ليت شعرى ماذا حدث لمربى الجيل ؟ أمقالته تلك نتيجة الشعار الذى رفعه إذ ذاك بالدعوة إلى المصرية ، فوجهه ذلك بالتالى الى الاعراض عن الفصحى والدعوة الى العامية ؟!! أم أنها العتمة

الفكرية التى تلقى سحائب على بعض العقول نتيجة الاعجاب بالغرب وفلسفته وتفكيره ، ومعايشة ذلك زمنا حتى تهتز أمامه القيم العظيمة لأمته ؟!!

على كل حال لست من الذين يسرفون فى الظن ، ويبالغون فى التشكيك ، ويسارعون إلى هدم القمم فى الفكر والأدب واللغة ، ولكنه مجرد موقف نثبته للتاريخ . والباطل باطل أيا كان الإنسان الذى يحمله ، وتعجبنى هذه الكلمات التى قالها الرافعى فى صدر كتابه « تحت راية القرآن » .. قال : والفكرة لا تسمى بأسماء الناس ، وقد تكون لألف سنة خلت ، ثم تعود بعد ألف سنة تأتى ، فما توصف من بعد إلا كما وصفت من قبل ، مادام موقعها فى النفس لم يتغير ، ولا نظنه سيأتى يوم يذكر فيه إبليس ، فيقال : (رضى الله عنه)

ولیم ويلككس مرة أخرى :

ويعاود ويلككس المهندس الإنجليزى المبشر دعوته الضالة مرة أخرى .

والعجيب فى سياسة هؤلاء الناس أنهم يتحينون ظروفا خاصة تعيشها الأمة تكون فيها درجة مناعتها ضد السموم الوافدة قليلة ، فيلقون فى روعهم بما يريدون منتهزين فرصة الهبوط المعنوى ، ويقدمون دعوتهم فى ثياب متنوعة ، وعلى ألسنة متعددة .

ظهرت هذه الدعوة مع الثورة العرابية ومع الحرب الأولى وثورة سنة ١٩١٩م ومع ثورة الانجليز لمقتل السردار ومع الحرب

العالمية الثانية ومع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م وأخيرا مع نكسة عام ١٩٦٧م

لقد ظل ويلككس قابعا فى جحره أكثر من أربعين عاما ، ثم جاء سنة ١٩٢٦ ليحاول تنفيذ دعوته ، وقام فعلا بترجمة الإنجيل إلى العامية المصرية ، وهذه القضية شأنهم وحدهم ، فليفعلوا بإنجيلهم ما شاء لأن الإنجيل ليس له لسان فعلا ، ولم تكن آيته فى لسانه وإنما كانت آية عيسى عليه السلام خوارق كونية . على أن اللغة التى كتب بها من قبل لم تكن خيرا من العامية المصرية .

العملاء والأذناب يدخلون المعركة

تسلم الراية من ويلككس العملاء والأذناب .

فجاء سلامة موسى ليقول العبارة المشهورة : إن الأوربى يقرأ لكى يفهم ، أما نحن فنفهم لكى نقرأ .. والتى نقلها بدوره عن قاسم أمين الذى دعا الى إلغاء الإعراب ، وتسكين أواخر الكلمات [1] ، وما درى أن هذا دليل على ذكاء العربى وفطنته ، وحضور بديهته حين يسبق عقله لسانه ، وأن مثله من المستعجمين يصعب عليهم هذا الأمر ؛ ثم يتلقف دعوة شيطانه ويلككس فيقول مؤيدا لها فى كتابه « اليوم وغدا » [2] : والهم الكبير الذى يشغل السير ويلككس بل يقلقه هو هذه اللغة التى نكتبها ، ولا نتكلمها ،

---

(١) راجع مقال سلامة موسى ـ الهلال ـ يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ إلى ص ١٠٧٧ .

(٢) كتاب أصدره سلامة موسى ، وهو مجموعة مقالات نشرت خلال عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ثم أضاف إليها مقالين عند نشر الكتاب سنة ١٩٢٧ ، وقد عبر فيها بصراحة فاجره عن حقده على الدين واللغة والتراث .

فهو يرغب فى أن نهجرها ، ونعود إلى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها ، وندون لها ، آدابنا وعلومنا »

مسكين هذا المصلح الكبير وليم ويلككس : إن القلق يقتله من أجل لغتنا ، ومن أجل رقينا ، والتلميذ مشفق على استاذه من هذا القلق !!! عجمى ومستعجم كلاهما قلق على لغة العرب !!! أرأيت من قبل سفاحا تختلج فى قلبه مشاعر رحمة على ضحيته ؟!!! وأنظر الى هذا المستعجم فى مكان آخر من كتابه الآثم ، يقول فيه : « ينبغى ألا يغرس فى أذهان المصرى أنه شرقى ، فإنه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق ، وكراهة الغرب ، وينمو فى كبرياء شرقى ، ويحس بكرامة لا يكاد يجرحها أحد الغربيين بكلمة » ثم يقول : « الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينية وقاحة ، والرابطة الحقيقية هى رابطتنا بأوربا » ماذا نقول فى هذا الضلال ؟!

لقد أفصح هذا التالف عن خطته ، وقدم لنا تعليلا كافيا لحقده على الفصحى التى يعجز عن شرف الانتساب إليها . لقد قوبلت الدعوة فى هذه المرحلة بثورة عارمة ترفض هذا الضلال ، وتستهجن هذه الدعوة . لكن هناك عوامل جبرت فى هذه الفترة أعنى العقد بين الثانى والثالث من القرن العشرين ، هى أنه مع أحداث ثورة ١٩١٩ ظهرت الدعوة إلى القومية والشعبية ، وجذبت ببريقها الخداع بعض الأفراد حين كان الناس مفتونين بثورة الشعب العارمة فاستتر وراءها دعاة العامية . كما ظهرت على الساحة فى هذه الظروف الدعوة إلى « الفرعونية ». وكانت ثورة كمال

أتاتورك موضع حديث الناس ، ولا سيما ماصنعه هذا الآثم الضال من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وتحريم تدريس العربية فى غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة ، وترجمة القرآن للغة التركية ، وإلزام الناس التعبد بالقرآن التركى ، ثم مطاردة الألفاظ العربية فى التركية[1] .

هذه الظروف ـ فى تقديرى ـ هى السر وراء وقاحة العبارة وجرأتها فى كلمات سلامة موسى ، لا سيما ثورة الانجليز لمقتل السردار ، وهم أولياء أمره ، وهو العميل لحسابهم ، وحساب الصليبية بعامة ، لقد بدأ أن هذه الدعوة قد أحرزت فورا من النجاح فى بعض الجوانب حين استخدمت اللهجة السوقية فى المسرح الهزلى[2] ، ثم انتقلت للمسرح الجدى وقامت فرقة تمثيلية تحمل اسما فرعونيا هى « فرقة رمسيس » وأقبل عليها الناس وظهرت الخيالة (السينما)[3] ، فاتخذت العامية لسانا لها وغابت الفصحى تماما من هذا الميدان ، كما غابت الأخلاق والقيم .

الوباء يتسرب إلى مجمع اللغة العزبية

إننا عندما نرى هجمات الاستعمار وأذنابه وعملائه على اللسان العربى لا ندهش ، ولا نعجب ، لأن من المتوقع أن يقف هؤلاء من

---

(١) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص ٣٦١ جـ ٢ .

(٢) كتب المنفلوطى مقالاً فى مهاجمة الريحانى وفرقته أثناء الحرب العالمية الأولى فى كتابه : النظرات جـ ٣ بعنوان « الملاعب الهزلية » .

(٣) كانت أول رواية مثلث هى زينب للدكتور هيكل ، كتب حوارها باللهجة السوقية ـ راجع الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٦٢ .

هذه اللغة التى تربط بين ملايين كثيرة من البشر فى أهم منطقة من العالم ، ونزل بها كتاب سماوى يحوى قيما خالدة ، وشريعة محكمة تهدد ما للغرب من « أيدلوجيات » ومذاهب ؛ لكن الشيء الذى يثير الأسى والأسف أن يتسلل هؤلاء الأذناب أعداء اللغة إلى « مجمع اللغة العربية » الذى أقيم من أجل حماية اللغة العربية ، وصد الغارات ضدها ، ودعمها بما يبرز إمكاناتها وقدرتها على التعبير عن مطالب العصر ، ومصطلحات العلوم ، ومبتكرات الحضارة الحديثة . ثم نفاجأ بهذه الدعوات المسمومة تنطلق من منبره ! ! ! فيكتب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة عيسى اسكندر المعلوف عدة مقالات عن اللهجة العامية ، يبرز أهميتها وقيمتها ، وأنها طريق للرقى ، وأن من أسباب تخلفنا اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة ، ونشرت هذه المقالات فى مجلة المجمع ، الجزء الأول شعبان ١٣٥٣ ـ اكتوبر ١٩٣٤م[١] ، والجزء الثالث : شعبان ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م[٢] ، والجزء الرابع : شعبان ١٣٥٦هـ ـ اكتوبر ١٩٣٧م[٣] .

والعجيب أن يختار عيسى هذا عضوا فى المجمع ، وهو رجل معروف بعدائه الصريح للعربية وهو عداء عريق موروث عن أبيه ؛ وهذه قضية تتطلب منا أن نرجع إلى الوراء فى مطالع هذه القرن العشرين حين كتب إسكندر المعلوف مقالا فى مجلة الهلال عام

---

(١) من ص ٣٥٠ ، إلى ص ٣٦٩ .
(٢) ص ٣٤٩ ـ ٣٧١ .
(٣) من ص ٢٩٤ ـ ٣١٥ .

١٩٠٢م[١] ، موضوعه : « اللغة الفصحى والعامية » دافع فيه عن اللهجات العامية ، وذكر أنه معنى بضبط أموالها ، وتقييد شواردها لاستخدامها فى كتابة العلوم ، وزعم أن اللهجة العامية أسهل على المتكلمين بالعربية من اللغة الفصيحة . وأن تخلفنا العلمى نتيجة اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة «كما زعم أن تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر له ، لأن هناك مسلمين كثيرين ، لا يتحدثون بالعربية ، ولا يكتبون بها ، ولأن اللغة التى يتكلمها المسلمون هى غير العربية الفصيحة على كل حال[٢] .

هذا هو كلام إسكندر المعلوف ، والدعوة إذ ذاك على أشدها ، والله يعلم أنه كاذب فيما زعم ، وليس الأمر أمرَ الإصلاح ، فبينه وبين الإصلاح بعد المشرقين ، وإنما هو يردد ما كان يردده شياطين التنصير فى عهده ومن قبل عهده ؛ فادعاءه بأن سبب تخلفنا العلمى هو اختلاف لغة الحديث عن الكتابة ـ وهى حجة ويلككس ـ محض افتراء لأن أوربا المتقدمة علميا تختلف فى بلدانها لغة الحديث عن الكتابة وعن اللغة العلمية .

وهو مغالط فى دعواه سهولة العامية عن الفصحى ، لأن الواقع يشهد بأن العرب فى مؤتمراتهم لا يفهمون بعضهم كما ينبغى إلا عن طريق الفصحى التى تربط بينهم برباط وثيق ؛ أما اللهجات المحلية فيصعب عليهم التفاهم بها ، فالشامى يصعب عليه أن يفهم لهجة المغربى ، والعكس صحيح ، وبالفصحى يفهم الجميع ، وتلك

---

(١) عدد ١٥ من مارس ١٩٠٢ من ذى الحجة ١٣١٩ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٧ .
(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث جـ ٢ ص ٣٦٢ وما بعدها .

حقيقة يقررها الواقع ، ومن المرفوض تماما تجاهله الممقوت لأهمية الفصحى عند المسلمين ، وكأنه لا يعرف سبب أهميتها ! !

القضية فى حقيقتها أكبر من ذلك إنه عداء المستعجمين للغة الكتاب العزيز وبرهان ذلك هذه الكلمات التى ختم بها الرجل مقاله الآثم ، إذ قال فى كلمات تقطر حقدا وعداء « وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم ، طالبين التحرر من رق لغة صعبة المراس ، قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة ، وهى مع ذلك لا توليهم نفعا ، بل أصبحت ثقلا يؤخرهم عن الجرى فى مضمار التمدن ، وحاجزا يصدهم النجاح ... ولى أمل بأن أرى الجرائد العربية قد غيرت لغتها ، وبالأخص جريدة الهلال الغراء التى هى فى مقدمتها ، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح ، وهو غاية أملى ومنتهى رجائى » .

لا أجد فيما قرأت عداء للغة القرآن والعرب أشد ضراوة من هذا العداء ، إنه يتحرق شوقا ليوم يرى فيه مغيب شمس الفصحى ، ولم يره ولن يراه بإذن الله ، إنه يغرى الصحافة بالعدول عن الفصاحة ، ويخص الهلال ! ! ولا أدرى بالضبط سبب التخصيص مع أن الهلال لها موقف كريم من هذه القضية سبقت الإشارة إليه ، وورث الابن عيسى حقد أبيه اسكندر ، وزاد عليه أنه تسلل إلى المجمع الوقور ونفث حقده على منبره ، إن طبيعة هذه الدعوات كما قلت تأتى على هيئة أمواج عاتية تستغل ظرفا معينا تعيشه الأمة ، ولذا قد تَشُدُّ بعض المخلصين الذين ينساقون مع التيار تقليدا ، أو قل انجرافا ، أو انخداعا بلافتة الاصلاح التى تقدم بها

هذه الدعوات المسمومة ، ففى فترة كتابة المعلوف الصغير مقالاته فى مجلة المجمع كتب الشيخ عبدالقادر المغربى مقالا تحت عنوان : دراسة فى اللهجة المصرية[1] .

على أن أهداف هذه الدعوة لا تحتاج إلى ذكاء وقاد لكشف بواعثها ، فقد نشرت الهلال عام ١٩٣٤ مقالا عجيبا للدكتور حسين الهراوى ضمنه تقريرا وقع فى يده للجنة العمل المغربى الفرنسية يقول الدكتور حسين : « فرأيت هذا التقرير يتبع السياسة الاستعمارية ، ويصف مقاومة الاسلام ، والتقارير السرية التى يرسلها المستشرقون فى البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الاسلام ، لأن روحه تتنافى مع الاستعمار ، وأن أول واجب فى هذا السبيل هو التقليل من اهمية اللغة ، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية فى شمال إفريقيا واللغات العامية حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ، ويمكن التغلب على عواطفهم »[2] .

لقد اتضحت ـ إذن ـ أبعاد المؤامرة ، وإلا فما السر فى هذه الظاهرة الغريبة التى انتشرت فى الربع الأول من القرن العشرين ؟ وهى كثرة مؤلفات المستشرقين والأوربيين بعامة عن اللهجات العامية فى الأمصار العربية ، إنهم يمهدون لمستقبل يخططون له تلقى فيه هذه اللغة حتفها كما تصوروا فلا يسع الناس إلا الاسترشاد بما كتبوا لهم . ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ وبرغم

---

(١) مجلة المجمع الجزء الثالث : شعبان ١٣٥٥هـ ـ أكتوبر ١٩٣٦ من ص ٢٩٠ ـ ٣٠١ .

(٢) الهلال ـ عدد يناير ١٩٣٤ ص ٣٢١ ـ ٣٢٨ تحت عنوان : هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم ؟ .

الأهداف التى افتضح أمرها ، وانكشف عوارها يتوالى فى غير حياء ركب الأذناب والعملاء ، ومن ورائهم المقلدون ، والمخدوعون .

ويتسلم الراية « لويس عوض »

قال فى كتابه الذى أصدره عام ١٩٤٧ :« بلوتولاند وقصائد أخرى من شعر الخاصة » : إنه تعلم مبادئ الإيطالية ، واسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ، ولهجتها المنحطة الإيطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ولهجتها المنحطة المصرية ، ويذكر أنه عجب لإصرار المصريين على العربية المقدسة ... ثم ذكر أن الانقلاب اللغوى لم يقوض أركان الدين فى أوربا ، وإنما قوض أركان الكنيسة ، وضرب على هذا الوتر ، وكأنه يقول للمصريين : اكتبوا القرآن بالعامية المصرية لتفهموه ، ولتقضوا على سلطان رجال الدين الذين لا يريدون لكم أن تفهموا .

هذا هو تصور هذا اللسان الاعجمى فكرا ولغة ، يؤدى بأمانة تامة رسالة اساتذته المبشرين ، ليكمل الشوط الفاشل الذى انقطعوا دون الوصول إليه ... ولن يصلوا ؛ إن هذا الرجل كان يحلو له أن يقدم نفسه بأنه « عرف بدعوته للأدب العامى ، فى صدر حياته الأدبية »؛ وبعد هؤلاء نكست أعلام هذه الدعوة ، وفرت الأفاعى إلى جحورها مؤقتا تنتهز الفرصة المواتية ، لتعاود نشاطها فى بث السموم .

لقد اتسعت حركة إحياء التراث العربى والإسلامى ، وتعددت مراكزها وامتدت فى كل مكان من أرض الوطن العربى ؛

واستعادت اللغة العربية مكانتها فى المدارس ودور العلم ، وأصبح النجاح فيها شرطا أساسيا لانتقال الطالب إلى مرحلة أعلى ، كما تعددت وتكاثرت المعاهد الخاصه بدراسة اللغة العربية .

رغم محاولات جادة لتعريب الطب ، كما فرضت اللغة العربية نفسها فى كثير من المحافل الدولية ، ومع ذلك لا تفتر همم هذه الحيات .

ونأسف مرة أخرى

حين يستغل ـ هذه المرة ـ منبر الجامعة العربية التى قامت بين العرب على أساس من وحدة اللسان ، فيصدر عنها وهى غافلة مايدعو لقطع اللسان ، أو قل : يخرج منها من يدعو لقطع اللسان الفصيح الذى هو قاعدة الارتباط ؛ أصدرتت اللجنة الثقافية عام ١٩٥٥ كتابا عنوانه : « اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريحة جمعت فيه المحاضرات التى ألقاها فى معهد الدراسات العربية العالية ؛ ما معنى إحياء اللهجات الإقليمية فى ظل الجامعة العربية ؟ أليس معنى هذا أن الجامعة تهدم نفسها بنفسها ، بل وتتطوع بتقديم المعاول لهادميها ؟ ! !

أ إلى هذا الحد تغيب هذه الأمة عن وعيها ، وتفقد رشدها ؟ ! ! ، وفى ذات الطريق يعود لويس عوض مرة أخرى فى الستينات ليتابع نشاطه المشبوه ، ويؤدى رسالته الباغية فى أسوأ سنوات عاشتها مصر والأمة العربية ، بل إننى وقت إعدادى لهذا الكتاب نشرت الشرق الأوسط المقال التالى « هجمة ويلكوكسية

جديدة ضد لغة القرآن الكريم » وفى هذا المقال أشار الكاتب إلى تقديم إحدى مسرحيات شكسبير على أحد مسارح القاهرة باللغة العامية بدعوى أن اللغة العامية هى لغة الشعب ، وأن الهدف من التجربة تقديم الأعمال العالمية للشعب المصرى ، بلغته البسيطة التى يفهمها العامة ، والأكثر غرابة أن أحد المشايعين للتجربة العامية استضافه التليفزيون للحديث عن المسرحية فزعم فى جرأة نادرة أننا حين نقدم مسرحية شكسبير (كما تهوى) باللغة العربية « الجاهلية » هكذا بالنص ـ فكأننا نخون الزمن ، مع أن صاحبنا ـ صاحب مصطلح اللغة العربية الجاهلية ـ أستاذ ! ! وأين ؟ فى كلية الآداب ، فى أقدم جامعة مصرية ، ـ جامعة القاهرة ! ! [1] .

معنى هذا أن بقايا الإفك القديم لا تزال جاثمة على عقول بعض المثقفين والخديعة ـ برغم الوعى ـ مستمرة ؛ فتحت ستار (الفلوكلور) والفن الشعبى تنشط وسائل الإعلام ضالة أو مقلدة إلى تبنى الآداب العامية حتى يقتلوا الذوق السليم فى هذه الأمة ؛ فتحول عن الأدب الفصيح ، ويتحقق لهم الهدف من طريق آخر ؛ ولنا عودة إلى هذا الموضوع باعتباره إحدى الصور لحرب اللسان العربى .

هذه هى الجهود الصريحة والمباشرة التى تتجه إلى حرب اللغة عن طريق الدعوة إلى اللهجات الإقليمية ؛ لكن البلاء كل البلاء فى الأساليب غير المباشرة ، وهى موضع حديثنا فى الفصل التالى .

---

(١) الشرق الأوسط عدد ١٩٨٤/١٢/٢٦ ص ١٢ بقلم د . مرعى مذكور .

الفصل الرابع

الدهاء بعد العداء

صور أخرى لضرب اللسان العربي

شعارات مطروحة على الساحة
اللغة الوسيطة
الأسلوب اللبنانى التوراتى

قال المثقِّب العبدى :

فإما أن تكون أخي بصدق   فأعرف منك غثِّى من سمينى
وإلا فــاطَّــرحنى واتخذنى   عــدوا أتــقــيه ويتقينى

شعارات مطروحة على الساحة

الوسائل المباشرة فى الحرب أهون عاقبة وأقل خطرا من الوسائل غير المباشرة . وانصاف الحلول أقبح مآلا من العداء الساخر ، واساليب الخداع والتمويه يلجأ إليها الأعداء عند شراسة المقاومة لتهدأ العناصر الوطنية ، وتطمئن . وتظن أن الحرب انتهت ، وأن العدو لجأ إلى المسالمة والمهادنة ومن أجل هذا غير أعداء الفصحى خطتهم ، والذي أريد أن ألفت النظر اليه هو أن هذه الخطط لم تكن متتالية وإنما كانت فى كثير من الأحيان متعاصرة ومتزامنة حتى إذا فشل المحاربون صراحة يمكن أن يتحقق الهدف على أيدى الآخرين .

لقد طرحت تعبيرات على الساحة الأدبية واللغوية منذ أوائل القرن الميلادي الحالى ، ومنها : اللغة الدينية ، واللغة الكلاسيكية ، ثم اللغة التراثية ، وكانت هذه التعبيرات تهدف إلى التشكيك فى مقدرة الفصحى ، والإيمان إلى عجزها عن مواجهة ما يستجد من مصطلحات العلوم ، ومسميات آلات الحضارة ، وظواهر المدنية تمهيدا لما يلقى من أفكار باسم الإصلاح اللغوى ، فكون اللغة العربية لسان القرآن الكريم ، كتاب الإسلام الخالد . قالوا : إنها لغة دينية .... وهدفهم من هذا ليس التعبير عن واقع

صحيح مشرّف ، وهو أن القرآن منحها مزيدا من القدرة والحيوية ، والضبط والتقنين بحيث لا ينتقل بألفاظها تطور الدلالة إلى شيء آخر مختلف ، بحيث تتباين لغة العصر الحالى عن لغة القرون الخوالى ، والاسلام من ناحية أخرى ، والذى كانت العربية لسانه يختلف واقعه عن مفهوم الأوربيين للدين ، إذ هو الحياة بسعتها ، هو العقيدة ، وهو العبادة ، وهو البيت والمدرسة ، والشارع ، والعمل والسعى ، والحرب والسلم ، هو الحياة بكل ما فيها من حركة ودأب ... لم يكن فى مقصد القوم ـ حين قالوا عن اللغة إنها دينية ـ هذه المعانى الكبيرة ، وإنما أرادوا أن يدمغوها بضيق الأفق ، والعجز والقصور وأن أمرها لا يتجاوز ألفاظها للعبادات ، والطقوس الدينية ، كعهدهم بشعائر المسيحية التى تؤدى بلغة لا حياة لها ولا وجود ، ولا يذكرها القوم إلا فى مراسم الزواج ، والوفاة ، وصلوات الآحاد ، وهذا الفهم مرفوض تماما لمخالفته لواقع ديننا ، وحقيقة لساننا .

يقول صاحب أباطيل وأسمار ، كاشفا الدوافع وراء هذا الوصف الذى أطلقه القوم على لسان القرآن : وأما شبهة اللغة الدينية فإن الدواعى إليها ـ إن صح ما أقول ـ هو أن الدعاة والمبشرين ، والمستعمرين لما دخلوا بلاد الإسلام فى أفريقيا والهند وغيرهما رأوا الطفل الصغير ، والجارية والغلام كلهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب ، والمسلم يتلوه فى صلاته خاشعا باكيا ، ورأوا أن بعضهم لا يعرف من العربية إلا ما يحفظ من القرآن ، ولا يحسن أن يقرأ شيئا بالعربية إلا القرآن ، ظنوا أن ذلك كذلك ، لأن اللغة

العربية « لغة دينية » وهو ظن سخيف جدا عندنا بالطبع .[1]

وأقول إن سر هذه الظاهرة التي فسر بها الشيخ شاكر مقالة القوم ـ إن فاتهم ادراك هذا السر ـ هو النظم القرآني نفسه الذي يخلب العقول ، ويشد الانتباه حتى تغرس كلماته في الوجدان : وجدان أي إنسان عربيا كان أم غير عربي ، متعلما كان أم أميا ! ! ولو كان تفسير هذا أنها لغة دينية لكان من حقنا أن نسأل : لماذا لم يحفظ غلمان النصارى الأنجيل بالسريانية مثلا ؟ إن القضية هي حيوية اللغة التي فرضت نفسها على ألسنة البشر ، كما فرض الدين الحق مبادئه على عقول اولى الألباب من الناس .

الكلاسيكية والتراثية

نأتي بعد هذا إلى شعار آخر رفعوه هو تعبير اللغة الكلاسيكية ، أو اللغة التراثية ، وهو تعبير مرفوض تماما في مسيرة اللسان العربي ؟! إذ لم يتحول في وقت « ما » الى تراث ، ولم يكن اللسان الفصيح في وقت ما كلاسيكيا ، ولا يزال يتحدث به كل أصحابه ، أولياته منهم وأعدائه على السواء .

لقد سبق التعبير بلفظ كلاسيكي في كلمة « إرفنج » حيث شبه العربية باللاتينية ، والسنسكريتية ، ولم يكن اللسان العربي في أي مرحلة من مراحلها مثلها ، ولم ينظر إليه أبدا على أنه تاريخ ، وتراث عزيز ، يودع في دار العاديات ، أو في متحف ليكون نزهة للناظرين أو السامعين ، ومعنى هذا التعبير أن اللسان الفصيح أو

---

(١) راجع أباطيل وأسمار .

الكلاسيكى ، أو التراثى على حد تعبيرهم لابد أن يخلى مكانه للجديد الذى أزاحه عن واقع الناس !!! وما الجديد؟! إنه العامية التى تجرد المستشرقون وعملاؤهم للدعوة لها !! وإلى أى مدى يوصلنا هذا الكلام ، أو هذه التعبيرات العشوائية البراقة ؟! ستوصلنا بالطبع إلى أن القرآن الكريم ولسانه أصبحا مجرد تاريخ ، ولا مكان لهما فى الواقع المعاصر للعرب والمسلمين ، لأن لسان القرآن ـ فى حياتنا ـ لسان غير واقعى ، غامض غير مفهوم ، إنه كلاسيكى !! مجرد تحفة موروثة ، مع أن الواقع يدفع هذا الاتجاه ، ويجعل هذه التعبيرات الجوفاء ، مجرد ألفاظ فارغة ، كحصوات تلقى فى خضم عظيم . وماهو الواقع ؟ سأقدم أمثله منه .

نرى الأميين فى قلب الريف يستمعون الى قارئ القرآن الكريم بإصغاء عظيم ، ومتابعة تامة ، واستجابة وجدانية واعية ، يصلون على النبى ﷺ إذا ذكر فى الآية ، ويطلبون من الله الرضوان إذا تحدثت الآيات عن الجنة ، ويستعيذون من غضب الله إذا تحدثت الآيات عن النار ، إن القراء فى ريف مصر الذين لا يملكون من العلوم إلا حفظ القرآن تجد السنتهم أكثر استقامة فى لغة المحادثة والتخاطب أكثر ممن درس علوما شتى عصرية أو غير عصرية ، ولم يكن من بينها القرآن الكريم ، هذه اللغة التى نسميها لغة تراثية أو كلاسيكية مجاراة لأعدائها ظهرت فى لغة الصحافة مطالع هذا القرن ، ولا زلنا نذكر العنوان الرئيسى ، الذى نسميه بلغة الصحافة (مانشيت) لأحد أعداء جريدة اللواء ، التى كان يصدرها الزعيم مصطفى كامل ، وكان عبارة عن بيتين من الشعر

الجاهلى للمثقب العبدى ، وقد اتجه بهما إلى الخديوى عباس ، لموقفه المتناقض من الحركة الوطنية فيقول له :

فإما أن تكون أخي بصدقٍ فأعرف منك غثّي من سميني
وإلا فاطرحني ، واتخذني عدوا أتقيه ، ويتقيني

ومن ناحية أخرى أيصح لنا أن نقول : إن لغة القرآن الكريم لغة تراثية أو كلاسيكية ؟

إنها قضية التشكيك فى قدرة الفصحى ، وهذا أمر أعتقد أن واقعنا الآن يؤكد أننا تجاوزنا مرحلة الرد عليها ، يقول « فرجسون » فى مقاله عن اللغة العربية بدائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٧١م ص ١٨٢ : « إن اللغة العربية اليوم سواء بالنسبة إلى عدد متحدثيها أو إلى حد تأثيرها تعتبر إلى حد بعيد أعظم اللغات السامية جمعاء ، كما ينبغى أن ينظر إليها كإحدى اللغات العظمى فى عالم اليوم »[١]

وما كانت لتحتل هذه المكانة التى يصفها الكاتب ، المشار اليه إلا لأنها تاريخ عريق ممتد منذ عصر ماقبل الإسلام إلى الآن ، دون انقطاع ، مستبقية خصائص الفصحى وعراقتها ، ومادام القرآن الكريم موجودا ، وسيظل كذلك فلن يكون من الحق ، أو من العلم القول بأنها تراثية أو كلاسيكية ، وأسوأ تعبير فى تقديرى وصفها « باللغة الجاهلية » .

إنه تعبير جاوز صاحبه به دائرة التوفيق إن كان حسن الظن ، وتعبير يقطر عداء وحقدا إن كان صاحبه على غير ذلك ، لأن هذه

---

(١) نقلا عن الأسس المعجمية ص ١٥ .

اللغة التى يصفها الدكتور المشايع [1] لعرض مسرحية شكسبير بالعامية المصرية بأنها اللغة الجاهلية هى بعينها لسان الكتاب العزيز ، وهى اللسان العربى المبين وهى التى فرضت نفسها وآدابها على الوجود البشرى أكثر من خمسة عشر قرنا وتحدث بها الملايين من غير أبنائها . ولا تزال برغم ضعف ذويها وتخاذلهم تتفتح لها الميادين الجديدة ، والأدب الجاهلى ـ وهذا وصف صحيح ـ لا يزال يستهوى الكثيرين ، وسيظل كذلك لأن الجاهلية ليست بمعنى الجهل ، كما يفهم أنصار العامية ، وإنما جاهلية القوم تعنى مزيدا من الحمية والغيرة على العرض والشرف ، ومنازل القبيلة ، ومنابع الماء حتى تخرج أحيانا عن دائرة الحلم كما قال شاعرهم :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

---

(١) سبق منذ قليل أن أشرنا إلى مقال الشرق الأوسط وعنوانه : « هجمة ويلكوكس جديدة » .

اللغة الوسيطة أو المتوسطة

فى ظلال الفشل الذريع الذى منيت به الدعوة إلى العامية فى مراحلها المتعددة ألقى زهاة المبشرين عروضا أخرى على الساحة علها تنجح فى أن تكون شراكا يقع منه بعض المتمسكين بالفصحى ، ذلكم هو مايسمى « باللغة المتوسطة » وهى تهذيب للعامية كما أنها ليست بالفصحى .

وقد ظهرت هذه الدعوة من قديم ، ففى خلال كلام « ولهلم سبيتا » الذى يدعو فيه للعامية قال : « ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن فى أى قطر ، فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة فهى اللغة العربية الوسطى ، أى لغة الدواوين ، وحتى مايدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يقلقها لغة الحديث العامية » .

هكذا قال ، وهذا الرجل إما جاهل أو مغالط ، أو هما معا وهو الأصح ، لأن القرآن الكريم ليست له لغة خاصة ، لأن آيته التى اقحمت الفصحاء مماثلة فى الأداء والنظم بجانب المضمون الذى حوى أعظم المبادئ ، وأسمى الشرائع ، وأصدق الأخبار ، أما مادته اللفظية ، وحروفه وصوتياته فهى فى متناول الجميع ، ولأجل هذا تحدى الله به العرب ، فقال : ﴿**الم . ذلك الكتاب**﴾ ﴿**المص . كتاب أنزل إليك**﴾ ﴿**يس والقرآن الحكيم**﴾ ﴿**ص والقرآن ذى الذكر**﴾ ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ ولو كان له لغة خاصة

به ما كان هناك مسوغ للتحدى ! ! ! ، وإذا أخذ كل إقليم بعاميته كيف تبقى الوحدة الإسلامية ؟

معذور « ولبم سبيتا » لأن تصوره أن القرآن كالانجيل فى لغته ، وأن الإسلام كالمسيحية مجموعة من الطقوس والشعائر يؤدونها حتى إذا خرجوا من الكنيسة إلى المستعمرات ذهب الخلق ، وماتت القيم ، أسوأ مافى القضية فتنة الكثيرين بوعى أو بغير وعى بفكرة اللغة الوسيطة وظهر ذلك فى بعض الآراء التى أبديت فى استفتاءات مجلة الهلال التى أشرت إليها آنفا ، على أنى لا أعرف بالضبط ماذا يراد بلغة متوسطة ؟ أهو الوسط الرياضى أم الوسط الهندسى ، أم ماذا ؟ هى فى تقديرى مجرد حيلة للإعراض عن الفصحى ، لغة القرآن والتراث ، ولغة الأعزاء الكرماء ، لكن فى صياغة جديدة قد تستهوى بعض من وقفوا بإصرار فى وجه العامية . وهذا هو وجه الخطورة فى هذا الأسلوب الجديد : أنه يعمد إلى الحلول الوسط ، وإلى تحقيق الهدف بوسائل مغلفة بمظاهر خادعة وتحت شعار الحرص على الفصيحة من الدعوات الهدامة ... لكنهم فى النهاية يريدون ذات النتيجة ، فالأسباب متنوعة والغاية واحدة ، هى خطة المستشرق جب (Gibb) التى يسميها التحول الهادئ ، إذ وصف تطور المجتمع المصرى بأنه يسير سيرا هادئا ، تدريجيا لا يكاد يسترعى الانتباه[1] ، ذلك هو الأسلوب الخبيث الماكر الذى ألقى القوم سمومه ، ونصبوا للوطنيين شباكه فوقع فى حبائلهم على سبيل المثال فكرى أباظه ، وتوفيق الحكيم ؛ اتجه أولها الى ترقيع الفصحى

(١) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث جـ ٢ ص ٣٨٥ .

بعض الكلمات العامية ، أو السوقية والمبتذلة ، متصورا أن هذا تجديد فى اللغة ، على أنه فى تقديرى نوع من التفكه فى التعبير ، والتماس الظرف فى تضمين عبارته بعض ألفاظ السوقة ، نأخذ مثالا لهذا مقاله : «التقليدزْم» يسخر فيه من المتفرجين من أبناء الأمة ؛ الموضوع فيه أصالة مطلوبة ، لكن العبارة بصورتها الراهنة مرفوضة ، لأنها تعنى استجابة لدعوات هدامة لا تريد للأمة ولا للسانها خيرا ؛ يقول : «دعنا من هذا ، وانتقل بنا إلى الاجتماعات ، وتعالى معى نحدّق ، ونحملق فى ذلك الطالب الصعيدى (القحف) الذى أبى إلا أن يقلد (الخواجات) فطرح الطربوش ، وزر الطربوش ، ووضع على شعره (الأكرت) ورأسه التى أخذت فى عالم الهندسة شكل (الشبه منحرف) البرنيطة أو (الكسكتة) . هل تفرق بينه وبين بائعى الإسفنج ، ومساحى الأحذية من (الأرض) (وجرسونات) القهاوى بعد التشطيب ، وبائعى اليانصيب والفارين من الخدمة العسكرية؟!! ثم يقول : فإذا لم تعجبك هذه (التقليعة) فتعال معى أفرجك على أستاذ من طلبة دار العلوم ، هجر الجبة والقفطان ، والمركوب والعمة ، ودخل فى (البنطلون) واحتل الطربوش رأسه (الزلطة) واختفت ربطة (البمباغ) داخل الياقة الواسعة ، فإذا سار هرول ، وإذا أكل (شمر) وإذا شرب مصمص ، وإذا جلس جلس القرفصاء ، وإذا هب (زى الناس احتاس)[1] .

---

(١) نشر المقال بالسياسة الأسبوعية ـ عدد رمضان ١٣٤٤ ـ ٢٧ من مارس ١٩٢٦ ص ٩ .

على هذا النحو من الأسلوب الخفيف المستملح يعرض فكرى أباظة صورا للمتفرجين من المجتمع المصرى ، لكن عبارته تشكل مأساة لغوية عندما يقع فى الشباك صحفى أديب مثله ، وحسبه أنه بهذا الإطار الفاسد حبس أفكاره فى دائرة القارئ المصرى ، فلا يكاد يفهمه غيره .

أما توفيق الحكيم

فعندما تستمع لكلماته فى هذا المجال لا ترى منهجا محددا ، ولا صياغة علمية مقبولة ولا استنادا إلى أسس يعول عليها ، وإنما هو مجرد اجتهاد صادر عن هوى ، محفوف بأخطاء علمية ، وجهل بالتراث ، وقواعد اللغة بصورة لا تغتفر لمثله ، لقد قدم كلامه بدعوى خادعة يفهم منها الحفاظ على الفصحي بالرد على من قالوا بالهوة السحيقة بين الفصحى والعامية ، يقول كما جاء فى مقاله بالأهرام : إن أهل المصلحة منهم يمعنون فى أيهامنا بعمق الهوة بين الفصحى والعامية ، ثم يقول : إن الواقع الذى لاحظه اليوم ، ولاحظه كثيرون هو عكس ذلك الزعم ، فالعامية هى المقضى عليها بالزوال ، والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد اليوم » ؛ ثم انتقل إلى حلٍّ هو « أنه يرفض الاعتراف بلغة منفصلة مستقلة ، اسمها العامية ، تترجم إليها العربية ، كما لو كانت لغة أجنبية ، فى حين أن الموجود هو مجرد لهجة تخاطب عربية ، استخدام فيها بعض الرخص ، والاختزالات ، والاستبدالات كاستعمال الحاء بدلا من السين فى الفعل المستقبل ، فينطق « حاكتب » بدلا من « سأكتب »

وإلحاق الباء بالفعل المضارع تأكيدا للحاضر مثل « بيكتب » إلى آخر الأمثلة التى ضربها ، ثم ناقش قضية عدم وجود الإعراب فى العامية ، فكان مما قاله : ولعل الأمر كذلك ويعنى عدم الاهتمام بالإعراب ، أيام العرب القدامى فى أوج حضارتهم ، فقد كان يقال : « سكنٍّ تسلم »وما نحسب الكلام والتخاطب فى الأسواق فى أيامهم كان بإعراب أواخر الكلمات ، فالتسامح إذن فى الوقف فى الحوار التمثيلى العصرى ، المنطوق والمكتوب يجب ألا يقدح فى عربية اللغة وسلامتها وقد قال ابن الأثير فى أسد الغابة : « إن اللحن لا يقدح فى بلاغة أو فصاحة »[1] ، ماذا نفهم من كلام توفيق الحكيم ؟ وما الغاية التى يريد أن يصل إليها ؟ ، هناك أمر لابد لنا من الوقوف عليه قبل أن نناقش رأيه ، هذا المقال كتبه الحكيم تقديرا لمسرحية « الورطة » بمثابة تجربة عملية لما زعمه من اللغة الوسيطة التى دعا إليها حفاظا على الفصحى التى يجب أن تبقى ، وقد نشر هذا المقال عام ١٩٦٧ فى الصفحة الثقافية من الأهرام حين كان يشرف عليها « لويس عوض » وكفى !! إنه العدو اللدود للفصحى ، ويفاخر بذلك ، ويحب أن يربط اسمه بهذه الدعوة ، ولا يزال على هذا الضلال حتى الآن[2] ، وعندما نلقى نظرة موضوعية على اقتراح « الحكيم » يتضح لنا الملَاحِظُ الآتية :

---

(١) راجع أباطيل وأسحار .

(٢) راجع ماكتبه د . لويس عوض فى المصور ـ عدد رقم ٣١٤٠ بتاريخ ١٩٨٤/١٢/١٤ . والعدد التالى الصادر بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢١ . يمجد فى هذه الأعداد أدباء إيطاليا : بترارك .. ودانتى . وبوكاشيو لاتجاههم للعامية الإيطالية . وإعراضهم عن اللاتينية . وأنهم لهذا كانوا أعمدة النهضة .

١ ـ هذا الرأى قام على عدة ملاحظات سطحية تصورها الأستاذ الحكيم الفروق الوحيدة بين العامية والنصحى .

٢ ـ يقيم القضايا على مجرد الحدس ، إذ تصور أن القدماء ماكانوا يهتمون بالظاهرة الإعرابية ، وأنهم كانوا يقولون : « سكن تسلم » مع أن هذه العبارة جرت على الألسنة فى أيامنا هذا حيث استشرى الاستعجام ، وقل من يحسن الإعراب ، وكثر من يهوّن من شأنه .

٣ ـ وعلى أساس الحدس وحده توقع أن لغة التخاطب عند العرب قديما كانت قائمة على مبدأ التسامح فى الإعراب .

٤ ـ الأمر الذى يلفت النظر ، ويدل على أن الكاتب المسرحى الكبير لا يعبأ بالتراث وأن صلته به لا تتجاوز صلة رجل الشارع فى أى حى من الأحياء الشعبية ، إذ ذكر هذه العبارة : « إن اللحن لا يقدح بلاغة أو فصاحة » ونسبها لابن الأثير فى أسد الغابة ، وهنا خطأ فى النسبة . وفى مضمون العبارة ، أما فى النسبة فلو أن « الحكيم » نسبها لابن الأثير وسكت لكان موقفه سليما الى حد بعيد لكنه ذكر أن العبارة فى « أسد الغابة » ، وكتاب أسد الغابة فى تاريخ الصحابة ، ومؤلفه : عزالدين أبوالحسن على بن الأثير الجزرى ، المتوفى سنة ٦٠٣هـ . ولعل « الحكيم » يعنى أخاه : ضياء الدين أبا الفتح ، نصر الله وقد ولد بعده بثلاث سنوات ، وتوفى سنة ٦٣٧هـ[١] ، والكتاب الذى يتوهم أن يكون فيه هذا الكلام

---

(١) راجع فى ترجمتهم : وفيات الأعيان لابن خلكان . وانباة الرواة . وفى تاج العروس مادة : « أثر » أبيات .

هو « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » ، على أن النص المشار إليه غير الموجود فى الكتاب ، بل يناقضه تماما ، والنص هو : « ومع هذا ينبغى أن نعلم أن الجهل بالنحو يَقْدَح فى الجاهل نفسه ، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليها ، وهم الناطقون باللغة فيجب اتباعهم » ؛ كأن ابن الأثير يريد أن يؤكد ماقيل من أن اللحن يضع من قدر اللاحن ، فهو هجنة للشريف وإزراء بالعالم الكريم ، وهذا يناقض تماما العبارة التى كتبها الحكيم ليدعم ما دعا إليه من اللغة الوسيطة أو قل : اللغة المرقعة .

لقد قدم الحكيم اقتراحه هذا كما أشرنا فى تقديمه لمسرحية « الورطة » وكانت « ورطة » فعلا لا للغة فحسب ، وإنما كانت مقدمة للورطة الكبرى التى وقعت فيها مصر والأمة العربية سنة ١٩٦٧م ، غير أنى أقول مقالة الشاعر القديم :

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقى

لقد أوقفت تيارا جارفا كان يتهدد مقدرات هذه الأمة ، ومنه هذا العداء للفصحى سواء الظاهر منه أم المستور ، فما فى كلام الحكيم ، كما أشرت إلا الدفاع عن العامية ، وتسويغ مظاهر العجمة فيها ، وضرب ظاهرة الإعراب السمة الأساسية للفصحى ، ولما كتب بها من تراث ؛ وثمت برهان آخر يشير الى ما كشفته النكسة من ضلالات .

هذا الاضطراب الذى أصاب « لويس عوض » عندما رأى حركة الفكر فى مصر منذ هزيمة سنة ١٩٦٧م تتجه إلى التراث

بقوة ، فكتب لمجلة « الطليعة » وهى مجلة يسارية يقول : إن حركة الفكر المصرى منذ هزيمة ١٩٦٧ ، تتسم بظاهرة غريبة ومتناقضة تبدو فى ازدهار الإحياء السلفى من جهة ، وازدهار الانفتاح نحو العالم الخارجى من جهة أخرى »[1] .

فإحياء الفكر السلفى ـ وهو يعنى بهذا حركة الجماعات الإسلامية ، وتشبثها بالدين منهجا ـ فى نظره ظاهرة غريبة ومتناقضة ! ! ولست أدرى أى غرابة فى هذا أو تناقض ؟ ! ! الغرابة فى تقديرى فى تصوره الخاص ، لأن أهدافه ، وأهداف من معه ، ضربت تماما ، وفى مَقْتَل ؛ وعناصر الأصالة فى هذه الأمة لن تموت ، إذ من الملاحظات الواضحة أمام من يتتبع سير الأحداث ، ويرقب عن كثب معارك الفصحى والعامية بكل صورها يجد أنه عندما تشتد الحملة ضد اللغة والتراث فى أى عصر تجد معها معركة مضادة تتصدى لها وجها لوجه ، كحركة إحياء التراث ، أو ظهور مفكرين أصلاء ، أو شعراء مبرزين على صعيد الفصحى ؛ ففى خلال الستينات التى نشط فيها « الحكيم » و« لويس » وأمثالها ظهرت فى مصر عن طريق وزارة الثقافة حركة واسعة لنشر أمجاد التراث لهذه الأمة .

وصدق الله العظيم **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**

الأسلوب اللبنانى التوراتى

كانت هناك محاولة أخرى فى بلاد الشام للابتعاد عن

---

(١) الشعوبية فى الأدب العربى الحديث ـ أنور الجندى ص ٨٤ . ص ٨٥ .

الفصحى ، وما يرتبط بها من قيم وآثار ، لا تساير معتقدات أصحابها ، وهم من الكتاب اليساريين ، والمارونيين الذين يتحركون فى دائرة الحزب السورى الاجتماعى .

بدأ هذه المحاولة جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وورثهما دعاة آخرون منهم سعيد عقل ، وأدونيس ، ويوسف الخال ، وأنيس فريحة ، وغيرهم من اليساريين ، والمارونيين فى الحزب السورى الاجتماعى ، ودعاة القومية اللبنانية ، الفينيقية ، كان يوسف الخال يدعو إلى العامية ، أو إلى اللغة المحكية التى تكتب ، كما تروى دون ارتباط بقواعد أو أصول ، وسعيد عقل كان يدعو إلى العامية اللبنانية المكتوبة بالحروف اللاتينية وأصدر أول كتاب باللهجة اللبنانية سنة ١٩٦١ ، أسماه (ياره ـ شعر) وطبع بأحرف الأبجدية اللاتينية ، ويسير فى خط سعيد عقل أنيس فريحة ، وله تاريخ معروف فى حرب الفصحى ، ولا يكادان يختلفان فى ذلك إلا فى أن كلا منهما يريد إحلال لهجة قريته ، فأنيس يريد لهجة « رأس المتد » وسعيد يريد لهجة « زحلة » .

يقول الدكتور عمر فروخ تعليقا على كتاب سعيد عقل : إنى أدرك أن جهات خاصة ستصفق لصدور هذا الكتاب ، لا على أنه إنتاج أدبى جديد ، بل على أنه محاولة من المحاولات التى يحبونها فى ميدان النشاط الذى يقومون به ، إن الدعوة إلى اللغة العامية بالحرف اللاتينى جاءت أولا من الخارج »[1] ، وقد وجدت دعوة

---

(١) الشعوبية فى الأدب الحديث ص ٢٢٣ .

سعيد عقل صدى فى بعض الأوساط ، فكتب كمال الملاخ فى الأهرام صفحة عن سعيد عقل ، ودعوته للقومية اللبنانية[1] . وأما أدونيس ، واسمه على أحمد سعيد ، كان يسمى نفسه « مهيار » تَسِمِيًّا « بمهيار الديلمى » الشاعر الذى حارب العروبة والإسلام ، كان فى أول الأمر مسلما شيعيًا ، ثم خرج عن الاسلام والعروبة جميعا ليدخل فى حضانة المستعربين ، يردد فكرهم الذى يتجهون به لضرب مقدسات هذه الأمة ، إنه أول من ناصر القرامطة ، ومجد حركتهم ، وأثنى على تخريبهم ، ولا تزال شياطينه تتخبطه فيضرب على غير هدى ، ومن بين أهدافه لسان هذه الأمة التى لا نظن أن انتسابه إليها حقيقة واقعة .

وخطة الأسلوب اللبنانى التوراتى تتلخص فى عدة دعوات متعارضة ومتشابكة فيها تشجيع للعامية اللبنانية ، وفيها إعراض عن الحرف العربى ، وفيها تنكر لعمود الشعر ، والابتعاد تماما عن الفصيحة بكل خصائصها ، وملامحها ، لينتهى الأمر إلى أساليب عربية ، وليست بعربيه فيها أصوات اللغة العربية ، وليس فيها سمتها وخصائصها ، حتى تصبح لغة غريبة يأخذ فيها القوم أنفسهم بها على أساس أنهم لم يتركوا لسانهم العربى حتى يصلوا فى النهاية إلى درجة مزرية من الاستعجام يصعب معها العودة إلى التراث ، أو فهمه ، حتى إذا استيأسوا منه رموا أنفسهم فى أحضان العامية ، وبالتالى الحرف اللاتينى ، ولغة التوراة فيا هى عليه من ركة ، وسوء

---

(١) الأهرام الصادر بتاريخ ١٣/٤/١٩٧٤ .

نظم ، وتهافت فى التأليف ، مثل ، وقدوة لهم ، فيا هم بسبيله من ضلال .

الفصل الخامس

الدعوة إلى إلغاء الحرف العربى

« إن قراءة القرآن العربى ، وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ! ! »

المستشرق الألمانى « كامفماير »
بعد تغيير الحرف العربى فى تركيا

كيف نشأت هذه الدعوة ؟

هى فى حقيقتها إحدى حلقات المخطط الرهيب الذى دبره القوم لضرب لسان هذه الأمة ، والقضية أن هؤلاء الناس اصطنعوا وسائل عدة فى هذه الحرب الشرسة ، إن فشلت واحدة تنجح الأخرى ، وهذا التدبير منهم ناشئ عن فهم عميق لقيمة هذا الحرف العربى ، وتأثيره فى دعم الرابطة الإسلامية بجانب القيم الأخرى التى يحملها ، والتى أشرنا إليها ، وبجانب أنه الحرف الذى كتب به التراث ، وتغييره يعنى الحيلولة بين الأمة وتراثها المجيد ؛ وقبل أن أعرض لمراحل هذه الدعوة ، سأذكر بعض اعترافات المستشرقين ونظرتهم للخط العربى ، تؤيد ما ذكرت حتى تستبين لنا أبعاد هذا المخطط ، ودوافعه التى عرضها بلا ريب أذناب الصليبية ، وإن غاب أمرها ـ فى تقديرى ـ عن المقلدين .

يقول المستشرق الانجليزى « جب » عند كلامه عن الوحدة الإسلامية : « إن من أهم مظاهرها الحروف العربية التى تستعمل فى سائر العالم الإسلامى واللغة العربية التى هى لغته الثقافية الوحيدة ، والاشتراك من الكلمات والاصطلاحات العربية الأصل »[1]

---

(١) راجع كتابه (Whither Islam) أين يتجه الإسلام ص ٢٠ .

تقول مجلة « عالم المسلمين » وهى إحدى مجلات التنصير :

« لقد قام المَنَصِّرون الألمان فى شرقى إفريقيا باستبدال الحرف العربى الذى تكتب اللغة السواحلية إلى الحرف اللاتينى ، وذلك كوسيلة لوقف الزحف الاسلامى ، ووقف عملية التعريب المستمرة فى هذه البلاد ، ويعتبر هذا التغيير ضربة قاسية للإسلام فى شرق إفريقيا »[1]

أما المستشرق الألمانى « كامفماير » فيسره ما رآه فى تركيا من غياب السمت الاسلامى ، وذهاب اللغة العربية ، والحرف العربى ، ويقول فى شماتة واضحة : إن قراءة القرآن العربى وكتب الشريعة الاسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية »[2] وقد سبق عند حديثنا عن خصائص اللسان العربى أن أشرنا إلى كلمة المستشرق « ريتر » الأستاذ بجامعة استانبول عن آثار التحول إلى الحرف اللاتينى فى تركيا .

هذه كلمات أضيفها إلى ما سبق فى غير هذا المكان تكشف عن نوايا القوم وهذه هى النتيجة ، يقول الدكتور حسن المعايرجى : لقد رأيت بعينى أكواما من أمهات الكتب بالحرف العربى فى إحدى الدول الاسلامية يأكلها الإهمال والعفن ، لأنها لا تجد من يعرف فك طلاسمها التى استغلقت على الجيل الجديد ، بعد أن كتبها أباؤهم ، وأجدادهم ليورثوها لهم لهدايتهم ، فورثوا طلاسم

(١) العدد الثانى من المجلد الأول الصادر فى أبريل سنة ١٩١١م ص ٢١٨ .
(٢) جاء هذا النص فى كتابه الاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث جـ ٢ ص ٣٦٥ .

وأحاجى ، وقطع السبيل بينهم وبين تراثهم »[1]

ومن هنا بدأت الدعوة إلى إلغاء الحرف العربى ، واتهامه -ظلما- بالصعوبة والتعقيد متزامنة مع الدعوى إلى العامية ، أوالعامية الراقية (الوسيطة) ، لقد ظهرت هذه الدعوة أول ما ظهرت فى كتاب القاضى الإنجليزى « سلون ولمور » الذى دعا فيه إلى العامية المصرية ، كما دعا معها إلى الحرف اللاتينى بدلا من الحرف العربى وكان ذلك عام ١٩٠١م ، وهبت العاصفة الوطنية فى وجه « ولمور » وكتابه مع أن كلمة المستشرق الأمريكى « ريتشارد لوتهيل » فى استفتاء مجلة الهلال سنة ١٩٠٢ سفه كل دعوة إلى الغاء الحرف العربى ، وعدها غبنا وعبثا ، لأنه حرف تكتب به شعوب كثيرة ، وقد سبق أن اقترح لطفى السيد ، « منشئ الوطنية الحديثة » كما كان يسميه سلامة موسى ، فى عام ١٨٨٩م اقتراحا عجبا ، وما أكثر عجائبه ومتناقضاته ، مقتضاه الدلالة بالحروف على الحركات أسوة باللغات الأوربية فتكتب « ضرب » هكذا : « ضارابا » ومحمد هكذا : « موحاممادون » وهكذا ، عبقرية فى التعقيد ، ولا ريب . وهذا الاقتراح اهتدى بضلاله الأب أنستاس فيما بعد لكن هذه الاقتراحات ذهبت كلها سدى .

وجاء مصطفى كمال فحمل الناس فى تركيا على ما حملهم عليه من الأضاليل ، وكان فى جملة ما سامهم من الأباطيل استبدال

---

(١) مجلة الأمة ص ٥٠ عدد جمادى الأولى ١٤٠٤هـ .

الحروف اللاتينية بالحروف العربية[١] فثارت الفتنة مرة أخرى وعاد الحديث بين الناس عن إصلاح الخط ، وخاضت فيه الصحافة ، وتحرك الأذناب والمقلدون إلى الاقتداء بضلال مصطفى كمال ومناهجه العلمانية ، وفى غمرة الجدل والحوار سألت مجلة الهلال ثلاثة من المشتغلين بالدراسات العربية : هل ينبغى تغيير الحروف العربية ؟ وتلقت منهم إجاباتهم ، وقدم المحرر لإجاباتهم بقوله[٢] :
وفد على مصر فى الشهر الماضى العلامة اللغوى الأب أنستاس الكرملى ، فأتاحت الفرصة لأحد محررى الهلال الاجتماع به ، فدار الحديث حول شؤن كثيرة تتعلق باللغة العربية ، وكان أهم ما تناوله الحديث مسألة إصلاح الحروف العربية فأحببنا أن نطلع القراء عليها ، كما طلبنا إلى عالمين جليلين أن يقولا كلمتهما فى هذا الموضوع أيضا ، وهما الأستاذ محمد فريد وجدى ، والاستاذ محمد مسعود ، وسيرى القارئ فى هذه الردود الثلاثة آراء مختلفة له أن يحبذ منها ماشاء »

الأب أنستاس الكرملى

بدأ إجابته برفض فكرة الكتابة العربية بغير حروفها ، لأن ذلك يقطع الصلة بيننا وبين تراث الأجداد ، غير أنه اقترح وضع الحركات على هيئة حروف فى صلب الكتابة كما أشار لطفى السيد

---

(١) راجع حاضر العالم الإسلامى جـ ٢ ص ٣٨٤ لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض مصر ١٩٢٥ والعدد الأول من مجلة الرابطة ـ الشرقية ـ السنة الأولى ـ ص ١٣ .

(٢) مجلة الهلال سنة ١٩٣٢ ص ١٣٨٥ ـ ١٣٨٩ .

من قبل ، واقترح أشكالا جديدة للحركات الأوربية (a- u- e- o) التى لا نظير لها فى العربية لتحل محل الحركات ؛ وهكذا انتهى مخالفا للرأى الذى قرره أولا .

أما الأستاذ محمد مسعود

فهو يعارض رأى الكرملى على طول الخط ، ويرى أن الحرف العربى تميز بالاختصار وأن أقل إلمام بقواعد اللغة يغنى القارئ عن الشكل الكامل ، ثم يتجه بالخطاب إلى أنستاس الكرملى قائلا : دع كل أولئك ، وقل لى فيا لو أخذ بأسلوب الأب المحترم ، ماذا يكون الشأن بإزاء القرآن الكريم ؟ أيطبق عليه وهو حرم مقدس منيع لا تتناوله طوارئ التبديل والتغيير ؟ أم لا يطبق فتكون فى اللغة العربية طريقتان ، لا ائتلاف بينهما ، ولا اتصال ، فتنقطع بلغة العرب الأسباب ، وينثلم جدار القومية العربية ، وتحل أواصر الدين ، بل وتحمل معول الهدم والتدمير »[1]

وأما الأستاذ محمد فريد وجدى

فكانت إجابته على غير المتوقع برغم صلته الوثيقة بالدراسات العربية والإسلامية فهو قد سلم بأن الكتابة العربية فى حاجة إلى تعديل ، حتى لا يذهب قراؤها مذاهب شتى فى القراءة ، وأشار إلى صعوبة الشكل على عمال المطابع ، وليس فى كلمته معارضة

---

(١) المرجع السابق وراجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص ٣٧٨ .

صريحة للحروف اللاتينية ، ولا تأييد صريح ، وكأن فى نفسه شيئا يخشى الجهر به .

المستشرق « نلّلينو »

وقف الرجل موقفا عادلا وأمينا من هذه القضية عجز عن مثله كثيرون من أبناء هذا اللسان . كتب مقالا عن « الحروف اللاتينية ـ هل تصلح لكتابة العربية ؟»[1] ؛ بدأ حديثه بتحليل الانقلاب التركى ، وشرح أهدافه ، بعد استبدال الحروف العربية وأن الهدف محاربة العنصر العربى والدين الإسلامى ، كما زعموا أن المدينة التركية أقدم المدنيات « فهى تتصل بالمدنيات البابلية والأشورية القديمة ، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامى ، ولهذا نجد حملة قوية تمثلت فى كثير من المظاهر كإبطال الأحوال الشخصية ، وتطبيق القانون المدنى السويسرى ... والتزام مواعيد رمضان كالعادة ، وما إلى ذلك » ، ثم انتهى إلى معارضة اقتراح كتابة العربية بحروف لاتينية ، وقد أسس معارضته على الأسباب التالية :

١ ـ أن الخط العربى موافق لطبيعة اللغة العربية ، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية ، لكى تعبر عن الأصوات العربية التى تمثلها حروف : ج ـ ح ـ خ ـ ش ـ ط ـ ظ ـ ص ـ ض ـ ع ـ غ ولاحتجنا كذلك بين الحروف المتحركة المحدودة وبين الحروف المقصورة .

---

(١) الهلال عدد مارس ١٩٣٦ ذو الحجة ١٣٥٤هـ ص ٥١٧ ـ ٥١٩ .

٢ ـ ومنها أن الخط العربي يمتاز بميزة فذة « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربي ليس فى حاجة إلى اختزال ، لأن طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال »

٣ ـ ومنها أن استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي يستتبع نتائج خطيرة « فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التى خلفتها الآداب الاسلامية فى الدين ، والفقه ، والفلسفة ، والعلوم ، والآداب ، والفنون ، وغيرها ، وكلها مدونة بالخط العربي وأمر كهذا فوق أنه خطر ، فهو متعذر ، لأن الحركات لها شأنها الكبير فى الخط العربي ، وهى غير كبيرة الأهمية فى اللاتيني ، ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التى تصرف فى هذا السبيل من غير جدوى ، وإذا افترضنا أن المنفعة فى إبدال الخط العربي ، لكان من الضرورى أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد ، ولو كانت مصر وحيدة فى اختيار الحروف اللاتينية ، فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية ، والآن مصر هى مركز الآداب والعلوم العربية فى العالم الاسلامى ، فاذا تغيرت الحروف العربية تخسر مصر هذا المركز الأدبي الممتاز »[1]

هذا صوت مستشرق دارس للقضية جمع الحق والحكمة والانصاف جميعا ، وكأنه يقول للعملاء ، والمقلدين من أبناء هذا اللسان الذين عموا ، وغفلوا عن قيمة الحرف العربي حذار أن

---

(١) المرجع السابق . وراجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص٣٨١ وما بعدها .

تتورطوا فى هذا وإلا ارتكبتم جرما لا يغفر فى حق أمتكم ولسانكم ، ودينكم وتراثكم !!! ولكن ماذا تم ؟ وما النتيجة التى انتهى إليها هذا الجدل ؟

أمر لا يخطر على البال !! يتورط مجمع الخالدين الذى أقيم ليكون ردءا يحمى اللسان العربى فيما اقترحه وأشار به أعداء هذا اللسان وعملاؤهم ، ومقلدوهم من متفرنجة العصر ، المأخوذين بحضارة الغرب حتى أصيبت بصائرهم ، ولا أقول أبصارهم فلم يعودوا يدركون عظمة اللسان الذين يتآمرون عليه إن عمدا ، وإن غفلة ، فيتقدم عبدالعزيز باشا فهمى ، وهو شيخ من شيوخ المجمع ، وثالث ثلاثة وقفوا فى وجه المعتمد البريطانى يطالبونه باستقلالمصر ، يأتى هذه المرة ليقترح على المجلس اتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة العربية !!! [1]

وتقع المفارقة الغريبة أن يبحث مجمع اللغة العربية عن الوسيلة لضياع اللغة والتراث وينتهى الأمر بهم إلى ماهو أعجب ، ، يرصد المجمع جائزة مقدارها ألف جنيه مصرى لصاحب أحسن طريقة لتيسير الكتابة ، كان ذلك سنة ١٩٤٤م ، وفى الفترة التى انعقد فيها المجمع ، وقدم عبدالعزيز فهمى اقتراحه كتب الأستاذ طاهر الطناحى مقالا ضافيا تحت عنوان : هل يمكن إصلاح الحروف العربية ؟ ، تناول فيه أصول الكتابة العربية وتطورها ، والتراث الحافل الذى كتب بها ، والحملات المعاصرة التى استهدفتها ، وختم

(١) تقدم عبد العزيز فهمى بهذا الاقتراح إلى المجمع فى جلسة ١٩٤٣/٥/٣ ـ راجع الجزء السادس من مجلة المجمع فى مواضع متفرقة ـ المطبعة الأميرية سنة ١٩٥١ .

مقاله المستفيض بالرد على اقتراح عبدالعزيز فهمى ، فكان مما قال : «كذلك يقول الذين يميلون إلى تغيير الحروف العربية ، واستخدام الحروف اللاتينية بدلها ، وفاتهم ماقدمناه فى هذا الفصل من أن الآداب والعلوم العربية كتبت منذ نحو ألف سنة بها ، وليس من السهل إعادة طبعها كلها بالحروف اللاتينية ، سواء أكان فى الأمة المصرية وحدها أم فى سائر الأمم التى كتبت آدابها وعلومها بالحروف العربية ، والتى يبلغ عددها نحو ثلاثمائة مليون ...»

ثم أكد أن عملية تغيير الحرف ـ وان نجحت بعض النجاح فى أمة لا تزيد عن أربعة عشر مليونا[1] من الاتراك ليس لها بالحضارة العربية صلة إلا صلة الدين فلن تنجح بين ملايين العرب المسلمين[2] ، كانت المعركة إذن سجالا بين أعداء الحرف العربى وأوليائه .

تطفو على السطح اقتراحات ضالة فييسر الله تعالى من يتصدى لمحقها والرد عليه أيا كان مصدرها ، وقد يكون الشهاب الثاقب بيد أحد المستشرقين كما فعل « نللينو »[3] ، غير أن الضلال لم يتوقف

وفى الخمسينات يقدم يوسف أوغسطين طريقة جديدة لكتابة

---

(١) هو تعداد تركيا تقريبًا أيام ثورة أتاتورك .

(٢) مقال الأستاذ طاهر أحمد الطناحى أول مايو سنة ١٩٤٣ ١٧ من المحرم ١٣٥٣ ص ٨٢٩ ـ ٨٣٣ ـ الهلال .

(٣) قدم الدكتور محمد محمد حسين موازنة بين الحرف العربى والانجليزى والفرنسى تكشف عن أن الحرف العربى أيسرها جميعًا . والكسرة الطويلة لها ست صور فى الانجليزية . وصورة واحدة فى العربية . وما أكثر الحروف التى تكتب ولا تنطق فى الفرنسية والانجليزية وما أقلها فى العربية راجع الاتجاهات الوطنية ص ٣٦٦ جـ ٢ .

اللغة العربية ويقرر أن هذا الأمر خطر له منذ ربع قرن عندما رأى الطباعة المعقدة ، وما تسببه من غموض وارتباك ، ثم صرفته شواغله عن إنجاز فكرته ، ثم عادت وراودته عام ١٩٣٩ ، وعكف عليها وتفرغ لوضع قواعدها ، وانتهى منها سنة ١٩٤٦ ، وقدمها لمجمع اللغة العربية ، وهى لا تزال فكرة فى مراحلها ، وعلى إثر ذلك أعلن المجمع عن الجائزة المشار إليها ؛ وتتلخص طريقته فى إصلاح الطباعة العربية المعقدة الصعبة فى الجمع ، حتى تصبح بسيطة ، سهلة ، ويعد أوغسطين طريقته تلك ثورة على فوضى الطباعة وما أشاعته من فساد فى ألفاظ الضاد قراءة وتكلما حتى إنه ليقل بل يندر أن يوجد بين القارئين أو المتكلمين بالعربية من يستطيع أن يقرأ أو يرتجل الكلام ولا يقع فى اللحن كثيرا أو قليلا . ثم يرى أن طريقته تعصم القارئ من اللحن والخطأ حتى ولو لم يكن فاهما[1] ؛ وليس تحت يدى أبعاد هذه الطريقة لتيسير الطباعة لنحكم على دورها فى الحرب القائمة ضد الحرف العربى ، لكنى أتصورها بعيدة الى حدما عن المخطط الرهيب ، وإن كانت هى فى حد ذاتها إحدى نتائجه ؛ ولم يتوقف المخطط . ولكن تغير ميدان المواجهة ؛ وقف يوسف الخال فى مؤتمر عقد بروما تحت اسم الأدب العربى المعاصر ، ودعى اليه دعاة التغريب ، وأذناب الفكر الاستعمارى الصليبى سنة ١٩٦٢ ليقول : « إننا نفكر بلغة ، ونتكلم بلغة ، ونكتب بلغة » ! ! ![2] ، لا أرى حقدا على لغة ما يصل فى التهوين

---

(١) مجلة الرسالة الجديدة ١٧ من أغسطس ١٩٥٧ .
(٢) الشعوبية ـ أنور الجندى ص ٢١٦ .

بها ، والافتراء عليها إلى المدى الذى وصلت إليه عبارة « الخال » ، وفى سنة ١٩٦١ ، أى قبل المؤتمر المشار إليه بعام واحد كان سعيد عقل قد كتب «يارة وشعر» باللهجة اللبنانية وبالحرف اللاتينى.[1] وقد أشرنا فيا مضى لهذا العمل المشبوه .

والشئ الذى أقرره هنا أن الدعوة إلى العامية أو اللغة الوسيطة وإن أحرزت نجاحا محدودا فى بعض القطاعات كالمسرح والسينما غير أن الدعوة إلى تغيير الحرف لم يكتب لها القبول ، ولم تتأثر الجماهير العربية بما سنَّه أتاتورك من سنة سيئة ، لكن غفلة الأمة العربية ، وخطة الاستعمار الماكرة والحاقدة معا جعلت القوم ينجحون فى إيقاع بعض الدول الاسلامية فى براثن الحرف اللاتينى ، وما كانت تعرف سوى الحرف العربى مثل أندونيسيا وماليزيا . والدول الإفريقيا التى وقعت تحت وطأة الاستعمار وما خبر تركيا ببعيد ، لكن العاقبة للحرف العربى بإذن الله .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

الفصل السادس

واتجهت السهام لضرب علوم الفصحى

١ ـ الدعوة إلى تجديد النحو والصرف
٢ ـ الدعوة إلى تغريب الأدب

لاتحْذُ حذو عصابةٍ مفتونة يجدون كلَّ قديم شئٍ منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا من مات من أبائهم أو عمَّرا
من كل ماض فى القديم وهدمه وإذا تقدم للبناية قَصَّرَا

أحمد شوقى ـ قصيدة الأزهر الشوقيات ص ١ نشرت فى مجلة سركيس عدد يناير ١٩٢٥ .

الدعوة إلى تطوير العلوم اللسانية (النحو والصرف والبلاغة)

هي أسلوب جديد لضرب اللسان العربى عن طريق الاستهانة ، والاستخفاف بالعلوم التى نشأت منذ عشرات القرون لصيانته ، وضبطه . والمحافظة على عروبته ، واستقامة سليقته ليظل الكتاب العزيز ـ كما أراد له الله ـ ميسرا للذاكرين ، والمتدبرين ، وهذه العلوم نشأت وقد غذاها ونماها جهود أعلام العلماء على امتداد هذه القرون حتى غدا كل علم منها دوحة باسقة ، وارقة الظل ، دانية الثمر ؛ وكانت هذه العلوم تتطور تلقائيا حسب مقتضيات الزمن ، واجتهادات العلماء إلى ما ينتهى بها إلى ماهو أحسن وأقوم ، وأدنى إلى تحقيق الغاية منها فى الحفاظ على لسان الكتاب العزيز ؛ وهنا مفهوم لابد من توضيحه ثمت فرق بين التطور ، والتطوير ، التطور يسير تلقائيا دون جهد مقصود حسب نواميس الكون وسننه ؛ وأما التطوير فهو تدخل مقصود لتغير اتجاه حركة العلوم اللسانية بما يكفل تحقيق مآرب خاصة ؛ وعلى هذا النمط الأخير سارت اتجاهات العملاء والأذناب لضرب اللغة عن طريق ضرب هذه العلوم ، والغض من قيمتها حتى تصبح اللغة قواعد مرعية . ولا أصول متبعة ؛ وطائفة المتفرنجة الذين صاغهم الاستعمار ، ومستشاروه من المستشرقين سواء فى مدارس التعليم

الأجنبى على أرض الوطن العربى أم فى خارجه قد اسعجموا وضعفت ملكاتهم وفسدت فطرتهم ، ولذلك كانوا فى نظر القوم أداة طيعة لتحقيق مايريدون . وبدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد النصف الأول من القرن العشرين التحركات المريبة ، والأصوات الكريهة تتذمر من قواعد النحو والصرف وتسخر مما وضعه العلماء من مقاييس وقواعد لها ، مع شكوى من صعوبته ، ومطالبة بالتخفف منه .

يكتب سلامة موسى مؤرخا لحركة العداء ضد اللسان العربى ، وأنها قديمة ، وكأنه يقدم تبريرا لموقفه ، وأنه يقتدى فيه بضلال شياطينه الذين سبقوه على طريق البغى ، فيقول : « والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها ليس حديثا ، إذ يرجع إلى ماقبل ثلاثين سنة[1] حين نعى قاسم أمين على الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة ، « إن الأوربى يقرأ لكى يفهم ، أما نحن فنفهم لنقرأ » أو مامعناه ، وقد اقترح أن يلغى الإعراب ، فنسكن أواخر الكلمات كما يفعل الاتراك » ؛ فكأن قاسم أمين أول من نادى بإلغاء الإعراب ليوارى سوأة عجمته .

وتتابعت الجهود الضالة من أجل تحقيق هذا الهدف تحت ستار الإصلاح ، أو التجديد أو نحوهما[2] . ومما ساعدهما على الاستمرار

---

(١) جزء من مقال نشر فى الهلال عدد يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧ .

(٢) ذكر الأستاذ الزيات المتوفى سنة ١٩٦٨م فى كتابه وحي الرسالة هذه القضية . وسمى هؤلاء الداعين إلى التخفف من قواعد النحو والبلاغة «أنصار الساندويتش» . وقال : «يقول أنصار الساندويتش» فى الأدب : إن قواعد اللغة قيودٌ لا توافق حرية العصر . وأساليب البلاغة عوائق لا تجارى قراءة السرعة . وبدائع الفن شواغل لا تساعد على وفرة الانتاج . والواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء الناشئين نفر قليل تجد من أولئك من يؤلف الكتاب . ثم يدفعه إلى نحوى يعربه ويهذبه ..

فى هذه الادعاءات ـ بعض الوقت ـ الأسلوب الذى كان عليه تدريس هذه المواد فى الأزهر ، والذى كان يقوم على تقديم كتب التراث دون بمراعاة لمدارك الطالب الوافد إلى الأزهر الشريف ، وليس له سابق معرفة بهذه العلوم ، لكن أيا ما كان الأمر فقد كان الأزهر منطقيا مع نفسه ، لأن طلابه يأتون إليه وقد حفظوا القرآن الكريم مجوَّدا ، وهذا مستوى راق فى الأداء اللسانى يخُول للطالب أن يقتحم هذه العلوم . وقد لا يتيسر له الفهم لفترة معينة لكنه لا يلبث أن يفهم ، وأن يستمر . وقد خرج الأزهر أعلاما كبارا بهذا الأسلوب الذى كان يطيب لمتفرنجة العصر أن يتهجموا عليه .

ثم ظهرت حركة « إحياء النحو » وهو الكتاب الذى ألفه الأستاذ إبراهيم مصطفى وقدم له الدكتور طه حسين ، مثنيا على الجهد المبتكر الذى بذله صاحبه على طريق التجديد والإصلاح ؛ على أنه فى تقديرى لم يخرج عن دائرة النحو العربى العريق إلا ببعض المصطلحات ، أو التصورات التى رآها مثل : الضمة علامة الإسناد ، والكسرة علامة الإضافة ، والفتحة هى الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، كما أنه حاول مزج بعض الأبواب النحوية ببعض ، وهبت العاصفة على الكتاب ومؤلفه تسفه رأيه ، وأن ما اقترحه ماهو إلا مجرد مسخ وتشويه لحقائق هذا العلم التى أرساها أعلام العلماء ، على أن أحدا لم يأت بجديد ، وما من رأى طرح على الساحة فى هذا الصدد إلا وله سابقة على لسان واحد من الأعلام القدماء ، ولم تلق قبولا ، ومابقى إلا الصحيح .

ما أرانا نقول إلا معارا   أو معارا من لفظنا مكرورا

لكن أفكار إبراهيم مصطفى كانت نواة لحركة تالية ، وهى حركة تثير السخرية والأسى جميعا ، قيل : إنها حركة تيسير النحو ، أو النحو الجديد بقيادة الدكتور طه حسين ، ود. عبدالعزيز القوصى ، وإبراهيم مصطفى ، تحصر القواعد النحوية تحت هذه المسميات : المسند ، والمسند اليه ، والمكملات ، فالفعل والخبر سواء ، والفاعل والمبتدأ سواء ، وكل المنصوب من المفاعيل الخمسة ومعها الحال والتمييز والمستثنى بإلا سواء .

وهكذا ضاع النحو تماما . بل هناك نتيجة أخرى لهذا الاتجاه قد تكون أشد ضراوة من العامية وهى اختلاف المصطلحات النحوية بين أبناء الأمة الواحدة مما ينذر بتمزق وشيك الوقوع .

فماذا حدث ؟ طبعت على هذه الطريقة كتب . وطبقت على وزارة التربية والتعليم فى مصر أوائل الستينات ، ثم قضى عليها تماما بعد ماظهرت آثارها الرهيبة بهبوط مستوى المتعلمين ، الذى استمرت آثاره حتى الآن . وكفى الله المؤمنين القتال .

لقد أمعن المتفرنجة فى حرب (النحو والصرف) فكانوا يسخرون من كل مستمسك بلسانه الفصيح ، ينآى عن اللحن ، ويحسن ضبط العبارة ، ليضعوه فى صورة الرجعى المتخلف . وقد يقال : عنه إنه « يرطن بالنَّحَوِى » وقد يقول آخر أنا لا أحسن لغة « سيبويه » ! ! ولو عقلوا لعرفوا أن شخصية سيبويه صورة لمقدرة لسان هذه الأمة ، وسحره المؤثر ، فإن سيبويه كان فارسى الأصل ، ثم أصبح إماما فى إرساء القواعد لهذا اللسان ؟

إن القواعد النحوية فى تقديرى ليست فى حاجة إلى تطوير كما

يزعم بعض الناس ، إنها تراث ضخم وعظيم قام على قواعد ثابتة ، وقوانين راسخة ، ومناهج علمية سديدة ، أثبتت صلاحيتها على مدى ألف عام ولا تزال . وأئمة الفكر والدين والأدب واللغة فى هذا العصر ثمرة هذه الدراسات ؛ فماذا يأخذون على النحو ؟

كثرة الشواذ المخالفة للقاعدة حتى قالوا : النحوى لا يخطئ أبدا ! ! ! الإسراف فى العوامل النحوية . والإمعان فى التعليلات ! ! !

أما الأولى فهى فى تصورى برهان على مايتمتع به اللسان من إمكانيات . ولأن قدماء النحاة نقلوا لغات القبائل جميعا وقد يكون لبعضها خصائص محلية أهملت عندما سارت لغة قريش ، ونزل بها القرآن الكريم ، . يقول الدكتور محمد محمد حسين : يقولون : إن الشاذ منها من غير القياس كثير ، والشذوذ فى صيغ الأفعال . وفى صيغ الجمع ، والتأنيث ، وفى المصادر يملأ اللغات الأوربية كلها . والشواهد عليه لا تحصى »[1] فماذا يقول المفتونون ؟! مرة أخرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وأما الأخرى ..

فإن العلل النحوية والعوامل يمكن استثمارهما . على أساس أنهما وسائل تربوية لتثبيت القواعد فى أذهان الناشئة . والمطلوب منا هو أن نتعرف على القدر الكافى من هذه القواعد الذى من شأنه أن

---

(١) الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٦٦ .

يقوم ألسنة النشئ العربى ، فتقدمه لهم كما هو فى ظلال دراسة أدبية شائقة . ومن واقع نصوص من عصور ازدهار الأدب ، وما أكثرها ! ! على أنه فى أثناء الغبار المثار ضد النحو وقواعده من العاجزين عنه ، أو الراغبين فى تغيير القديم لأنه قديم ظهر كتابان لعلى الجارم وزميله رحمهما الله هما : النحو الواضح ، والبلاغة الواضحة . قدما هذين العلمين العريقين لأبناء الأمة العربية فى صياغة جميلة ، وفى ظلال شواهد من التراث الفصيح مما جعل الكثيرين من جمهرة هذه الأمة يستمسكون بهما إلى اليوم . ولم تسلم علوم البلاغة العربية من الهجمات الشرسة .

أليست ناشئة فى رحاب الكتاب العزيز ، كاشفة عن عظمة آيته ، وروائع نظمه ومعجز بلاغته ؟ !

أليست من العلوم التى تبرز قيمة هذا اللسان وقدرته ؟ ! !

إن هذين كافيان لأن تلقى ما تستحقه من العداء ، والأزهر نفسه تلقى ماتلقى من عداء المتفرنجة ، لأنه ظل حفيظا على هذا التراث وخياله إلى حد كبير ، وإن كانت له هفوات فلن تنقص من قدره ؛ لأن القائمين عليه من البشر الذين لا يتنزهون عن الغفلة أو الخطأ ، أو مغالبة الهوى .

لقد قالوا : إن هؤلاء يمعنون فى دراسة الاستعارات والتشبيهات والكنايات ، والإيجاز والإطناب ، والفصل والوصل ، ولا يحسن الواحد منهم كتابة رسالة ! ! . وهذا الأمر لا ذنب لهم فيه ، لأنها ظروف العصر الذى أقفرت فيه رياض الأدب وصوح نبته على صعيد الأمة العربية فى العصر العثمانى الذى حوربت فيه

اللغة العربية ، لكن حسب هؤلاء أنهم فى ظلام المحنة استمسكوا بالتراث اللغوى يرددونه ، ويتلقاه المتعلمون جيلا بعد جيل ، ولو لم يفعلوا ذلك لأتيحت فرص شتى لدعاة التغريب ليحققوا بعض أهدافهم الباغية .

إنى أشعر بقدر كبير من الأسى وأنا أقرأ بعض مذكرات شيخ الأمناء أمين الخولى وهو يتخذ منهجا غريبا يعده تجديدا فى ميدان البلاغة والأدب ، فيقدم القرآن وتفسيره بعبارات عامية مبتذلة ، يقول فى شرح قوله تعالى : ﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور . إن أنت إلا نذير** ﴾ « إنت مش حتسمع اللى فى القبور ، والحقيقة أنه مش قدام أموات ، وإنما قدام ناس ألواح وبهايم ، والقرآن بيقول له : إنك حريص قوى على هدايتهم ، الأحسن أنك ما تحرصش كثير على هذه الهداية ، قال ذلك ، لأنه شاف أنه لفرط عنايته بأن يهتدى هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى أن مهمته التبليغ ، هو عمال يحرق فى دمه مع اناس دول ، ووفاؤه لمهمته هو الذى يحمله على الإسراف فى الإلحاح ، ويهز فى هذه الألواح ، ويحاول أن يبعث فيهم نفحة من الهداية بأى ثمن ، فقال له الله : يا أخى إنت حارق نفسك ليه ... »[1]

عجبا يا شيخ الأمناء ! ! عفا الله عنك ، ولعلها منك محاولة لتفهيم طلابك فى كلية الآداب الذين أحسست فيهم عجمة ، ولم

---

(١) هذا النص من كتاب الشعوبية فى الأدب العربى الحديث ـ أنور الجندى . ويذكر المؤلف أن الكراسة التى بها هذه المذكرات حصل عليها الشيخ على العمارى من بعض طلبة كلية الآداب .

يكن هذا فى خطتك !!! ، لكنى أقول : أهذا هو التجديد فى البلاغة ؟! لقد وضعت يدك مع الأيدى المشبوهة التى حملت إثم الدعوة إلى العامية والابتذال ، لتنقطع أواصر هذه الأمة !! انها استهانة باللغة بالكتاب العزيز ، وبأسلوبه الفصيح ، واستهانة بطلاب العلم الذين جلسوا أمامك ليسمعوا منك هذا الكلام .

ما أتصور الشيخ أمين ـ رحمه الله ـ فى مقالته تلك إلا أنه جالس على « مصطبة » جلسة مُغَيَّب ، يجر أنفاسا عميقة من نرجيلته ، يفضى بين الحين والحين بهذه الكلمات ؛ على أنك فيما قلت وضعت العامية فى موضعها الصحيح ، وأثبت من حيث تريد أو لا تريد عَيَّهَا وعجزها وقصورها ، لأنك فى شرح نصف سطر من كتاب الله قدمت نحو عشرة سطور ، تلف وتدور ، تحاول أن تستخرج المعانى التى توحى بها الكلمات الفصيحة ، فذكرت عبارات عامية ومبتذلة كثيرة . عفا الله عنك مرة أخرى ، ونرجو ألا يكون وراء ما قلت قصد سوء ، لأن العبارات التى قيلت لا تطاق .

على أن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ، وفشل أصحابها فى الحصول على قرار من المجامع اللغوية ، كما فشلت فى التطبيق عندما أتيح ذلك فى أوائل الثورة المصرية عندما اندفع الفارغون إلى الجديد على أى صورة ، مستغلين حماسة وحداثة القادة من أبناء الجيش الذين لم يكونوا ليدركوا من أول الأمر هذه الخفايا ، والخبايا ، وآخر المطاف لهؤلاء الناقمين تمخض عن هذا العمل ؛ استصدر قسم اللغة العربية بإحدى كليات الآداب قرارا بإنشاء شعبة ، سماها (شعبة الدراسات العربية الحديثة) أخلى

الدراسة فيها من النحو والصرف ، والبلاغة ، والشعر العربى ، والتاريخ الاسلامى ، والقرآن ، والحديث ، وجعل مكان ذلك كله : دراسات لغوية حديثة ، التطور اللغوى العربى فى العصر الحديث ـ اللهجات العربية الحديثة ـ الأدب الشعبى ـ المذاهب الفكرية فى الآداب الأوربية ـ مدرسة القصة ـ تطور الفكر الإسلامى الحديث .[1]

ولا أدرى ماذا يكون تكوين الطالب المسكين الذى يقضى عليه بأن يدرس لغة قومه فى ظلال هذه الشعبة ! ! ! بلا ريب سيكون أعجمى اللسان ، غربى التفكير ، ضعيف الدين مدخول العقيدة ، محصوله من العلم أمشاج من الثقافة الهزيلة الباطلة التى تزعزع فيه كل إحساس بالانتماء نحو العروبة والإسلام ، وتلك هى الغاية التى يتوفر عليها المخططون الكبار فى أوكار الضلال لخدمة الصليبية والصهوينية من حيث يريدون أو لا يريدون ، كما سبق لهم أن اتهموا الأزهر بالجمود ، وأن رجاله لن يستطيعوا أن يقدموا للناس الدين المساير لركب الحياة ، الدين الذى يبارك نزواتهم ، وضلالاتهم ففوجئنا بأعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم تقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن[2] وتبوء كل هذه المحاولات بالفشل وترتد الحياة مرة أخرى إلى جحورها ، انتظارا لفرصة أخرى ، أو بحثا عن أسلوب آخر ، لكن

---

(١) الشعوبية فى الأدب الحديث ص١١٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤ .

امكانات نجاحها ضئيلة ، نظرا لإقبال الأمة فى الآونة الأخيرة على تراثها وتعددّ مراكز احياء التراث مابين القاهرة وبغداد ودمشق ، والرياض ، ومكة ، والمدينة ، وغيرها .

تغريب الأدب

تميز اللسان العربى بالأدب الصادق ، الكاشف عن خلجات النفس ، الوفى بمطالب البيئة ، المسجل للقيم ، والمفاخر ، والمثل ، والرافض للسفاسف والرذائل .

وكان الشعر هو جوهر النشاط الأدبى قبل الإسلام ، يحتل أسمى مكانة ، وينزل من القلوب أعظم منزل . والشعراء فى القبائل هم الرواد والموجهون والقوة المعنوية التى تعتز بها القبيلة عندما ينبغ فيها شاعر ، تتخذ من يوم نبوغه عيدا لها . ذلك لأن الشعر ديوان العرب ، وسجل مفاخرهم وأمجادهم .

وعمود الشعر العربى ، المتمثل فى الوزن والقافية سمة لها دلالتها على إمكانات هذا اللسان وقدرته على غزو القلوب بوسائل شتى ؛ وعندما ظهرت فنون أدبية أخرى بجوار الشعر منذ أشرقت شمس الاسلام لم تلحق به ضَيْماً بل ظل على مكانته المرموقة وأثره البالغ فى النفوس ، واستمع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الخنساء ، وهى تقول مراثيها فى الجاهلية لأخيها صخر ، ويقول لها : إيه يا خناس ! ! ! وقال كعب بن زهير قصيدته « بانت سعاد » تائبا ومعتذرا ، فعفا عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وألقى عليه بردته ؛ واشترك الشعر فى المعارك الإسلامية على لسان حسان

وعبدالله بن رواحة وغيرهما ، إن الشعر العربى منذ كان بسمته وخصائصه قيمة كبيرة مؤثرة .

إنه صورة لوضوع العربى ، وصفاء ذهنه ، وبساطة طبعه ، شأن سمائه الصافية ، وشمسه المشرقة ، إن الشعر العربى قيم ومبادئ ، وترانيم معبرة عن الحياة المستمرة ، قال الشاعر العربى القديم ابوتمام :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى بناة العلا من أين تبنى المكارم

وقال الشاعر الحديث شوقى :

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق وكان البكاء فى أحزانه

والشعر العربى وعى الكثير من مفردات اللغة ، وألفاظها ، وتعبيراتها المتنوعة حتى كان ابن عباس رضى الله عنه ــ كما أسلفنا ــ يتحاكم إليه فى فهم بعض المفردات القرآنية ، وموسيقا الشعر العربى عنصر هام فى تكوينه ؛ ومن أجل هذا كان فى خطة أعداء اللسان العربى تغريب الأدب : خطوة فى الطريق إلى ضياعه ، وإذهاب ملامحه ، وسماته ، وتوفرت الجهود على ضرب الشعر العربى بخاصة ، ديوان المفاخر ، وسجل القيم وكنانة الألفاظ ، والمفردات ، وراعهم ، وزلزل كيانهم عودة الروح إليه على يد البارودى ورفاقه ومن داروا فى فلكه ، محافظين على عمود الشعر مثل اسماعيل صبرى ، وشوقى وحافظ ومطران[1] ، ومحمد

---

(١) اتجه مطران فى مطالع القرن العشرين إلى الرومانسية فى مضمون القصيدة متأثرا بثقافته الفرنسية الواسعة . لكنه حافظ على عمود الشعر . وفصاحة العبارة . ومن هنا عددته فى كوكبه البارودى

عبد المطلب ، ولذلك رسموا الخطة المحكمة العُرى لضربه واتخذوا لذلك وسائل عدة :

منها دفع الأدباء لمحاكاة الأدب الأوربى وتقليده ، والدوران فى فلك مدارسه فرأينا شعراءنا منهم الكلاسيكيون ، والرومانسيون ، وأصحاب المدرسة الجديدة ، وهذه المدارس قائمة فى اوربا بالبواعث خاصة ، فالكلاسيكية لها ظروفها فى مصر طغيان الكنيسة ، والرومانسية لها ظروفها التى دفعت الأدباء إلى الهروب من الواقع والتهويم فى خيالات غامضة لا توصل إلى شئ .

لم يحدث فى تاريخ أمتنا طغيان دينى أو روحى يصادر الحرية والعلم ، ويحكم بسيادة الخرافة والسذاجة والجهل ، وبيع صكوك الغفران ، وأمتنا لا تجيد التهويم فى الغموض والسير فى سراديب الرمز .

لكن موجه التفرنج طغت ، والتأثر بمقاييس النقد الأوربى استحكمت ، فوقع كثير من شعرائنا فى شرك الضلال ، ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا يتندرون بمن استمسكوا بعمود الشعر العربى لا يبرحونه ، وحققوا جزءا كبيرا من مخططهم ، وخفت صوت الشعر العمودى بعد شوقى وحافظ ، وكان هذا الهبوط المفاجئ بعد سنوات مزدهرة ، كان الشعر فيها صاحب الصولة والمكانة على الساحة الأدبية ، يصور آلام الأمة العربية والإسلامية وآمالها ، ويحارب معها أعداءها المتربصين بها ــ ظاهرة بالغة السوء فى مسيرة أمتنا ، ولم تأت عفوا كما أسلفنا ، وإنما خطط لها بإمعان وإتقان .

لقد أعلن لويس عوض نَعْىَ الشعر العمودى فى سرور لم يستطع

إخفاء معالمه ، وشباتة لم ينجح فى كبح مظاهرها قال فى مستهل كتابه : « بلوتولند وقصائد أخرى » وكتب تحته « من شعر الخاصة » : لقد مات الشعر العربى ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت أحمد شوقى ، مات ميتة الأبد . مات ! ! ومن الملاحظ أنه أهدى كتابه هذا إلى « كريستوفر سكيف » وذلك سنة ١٩٤٧ و« سكيف » كما يقول الشيخ محمد شاكر كان أستاذا فى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، وأنه كان جاسوسا محترفا فى وزارة الاستعمار البريطانية ، وأنه كان مبشرا ثقافيا ، شديد الصفاقة ، سيئ الأدب ، ماكرا خبيثا ، خسيس الطباع ، يفرق بين طلبة القسم الانجليزى فى الجامعة »[1]

سعد القوم إذن بهذا الانحدار المفاجئ للشعر العمودى ، ولم تكن سعادتهم لأن فنا أدبيا لا يريدونه ، ولا قبل لهم بامكاناته الفنية قد اختفى ، ولكن لأن اختفاءه يعنى اختفاء أعظم أوعية اللسان العربى ، والقيثارة التى تشد القلوب الفتية إلى البطولة ، ومقارعة دهاة الاعداء ، لقد حاولوا فيما حاولوا الدعوة إلى آداب إقليمية لتمزيق الأمة أدبيا ولسانيا ، كما تمزقت سياسيا ، وذهبت دعوتهم أدراج الرياح ، فدعوا إلى ما يسمى « بالشعر الحر » والحرية فى معناها العظيم أسمى من أن يُقْحَم اسمها الكريم فى هذا الضلال ، وأن تكون وصفا لهذا التهافت ، والعجز الفنى الذى أريد به طعن الفصحى ، والتدلى بطريق غير مباشر إلى وهدة العامية ،

---

(١) راجع أباطيل وأسحار ـ الشيخ محمود شاكر .

أو اللغة المتوسطة على حد تعبيرهم ، إن هذا الشعر لون من الضياع الفنى ، لا تجد فيه لفظة جزلة ، أو كلمة موحية أو نسجا محكما ، ومبلغ ما يصل اليه هذا الشعر أنه يسع الانسياب العاطفى ، والغموض المريب ، والرمزية المرذولة . إنه دخيل على طباع هذه الأمة الذى لا يعرف فنها إلا القوة والأصالة والوضوح ، وأن يوظَّف فنها فى خدمة أهدافها الكريمة ، هل يمكن أن تجد إنسانا تهزه الأريحية عندما يسمع هذا الشعر ، كما كان يحدث فى العصور الأولى من الخلفاء وكبار القوم ؟!! أو كما يستقبل عامة الناس فى العالم العربى شعر شوقى وحافظ ؟!!

إن كثيرا من العامة يتمثلون بشعر شوقى وحافظ مع مكانتهما فى الفصحى ، لأنهم يجدون أنفسهم ، ونبض أحاسيسهم مع أوزان الشعر وقوافيه ، ومعانيه الكريمة ، وحكمه الصادقة ، ولأجل هذا فإنى أرى أن حركة النقد العنيف التى قام بها رواد مدرسة الديوان المتأثرون فى نقدهم بأوربا ضد شوقى وحافظ والمنفلوطى ـ برغم محافظتهم على عمود الشعر إلى حد ما ـ كانت عاملا مساعدا لأعداء الفصحى والشعر العمودى !! قال شوقى فى رثائه للمنفلوطى مشيرا لحملة النقد الظالمة ضد مدرسة النهضة التى سارت فى فلك البارودى .

فإذا مضى الجيل المراض صدوره وأتى السليم جوانب الأضلاع
فافزع إلى حكم الزمان فعنده حكم تجرد عن هوى ونزاع
فجمع البيانُ وأهله بمصوِّر لبق بِوَشْى المبدعات صناع
تتخيل المنظوم فى منثوره فتراه تحت روائع الأسجاع

ثم ماذا كان البديل ؟ القصة والمسرحية نشطت تماما فى غياب الشعر ، وكثر القصاصون وأتيحت الفرصة للحديث عن لغة القصة والمسرح ... ووجد دعاة الهدم المجال مهيئا لأن يعيدوا القول بالدعوة إلى العامية ، واللغة المتوسطة ؛ ووراء هذا مكسب كبير لدعاة التغريب .

إن الأمر لن يقف عند حد ضرب اللسان العربى ، والشعر العمودى بل ستضرب معها الأخلاق الإسلامية ، وهذا أمر داخل فى حسابهم .

إن القصة ستكون مجالا لإذاعة الخيال الأوربى فى هذه الأمة ، ولتقديم ما فى مدنيتها من تهتك ، ومجون ، وخلاعة ، وغرقنا إلى الأذقان ، وقلنا إن أدبنا العربى قد حصل على مكسب كبير ، فلأول مرة ـ بفضل الأدب الأوربى ـ عرف أدبنا فن القصة ، وضللنا ضلالا بعيدا ، غفلنا عما وراء القصة من مذبحة الشعر العمودى ، وفساد الأخلاق ، ونسينا أننا أول من عرف القصة التى تصوغ الواقع بصدق ، وتصون الأخلاق ، كما عرف العرب لونا من القصص قائما على الافتراض والتخيل لخدمة القيم التى تعتز بها الأمة ، لأجل هذا قال رب العالمين لنبيه الكريم : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ وقال : ﴿ **إن هذا لهو القصص الحق** ﴾

ولفظ القصة عند العرب : تَتَبُّعٌ للواقع من قص الأثر أى تتبعه بينما هى عند الأوربيين بعد عن الواقع حقا كان أو باطلا لأن

(STORY) وهو لفظ قصة عندهم تحريف للفظ أسطورة[1]

وكان وراء شيوع القصة فى أدبنا تقليد للقوم ـ كما قلنا ـ وضياع للأخلاق ، واستغلال سيئ لأدوات الحضارة من (السينما والفيديو والتلفزيون) بجانب الضياع اللغوى والحرب المعلنة على الفصحى ، قد يظن بعض الناس أن ما قلته مجرد تصورات وتفسيرات من إنسان ممعن فى محافظته ولكن سأقدم شواهد من آراء الآخرين ، وممن عاشوا طلائع هذا الفساد .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : وقد كانت القصة هى أبرز ما استحدث من فنون الادب بعد الحرب العالمية الاولى ، ولم تلبث أن طغت على سائر فنون الأدب ، حتى أخملت الشعر ، أو كادت . ورحبت بها الصحف على اختلاف ألوانها ، وجعل لها الكثير منها بابا من أبوابها الثابتة استجابة لرغبات جمهور القراء الذين أقبلوا عليها إقبالا شديدا ..... لا سيما بعد أن هجر الناس اللغة الفصحى التى لا يستطيعها إلا المثقفون إلى لغة الأسواق التى لا يتميز فيها عالم من جاهل ثم يختم هذه الفقرة بقوله : « حتى أصبحت القصة أشد خطورة من الكوكايين والحشيش والأفيون ، وصار من أبشع وسائل الإفساد والإغواء والهدم ، بعد أن انتقل ميدانها إلى الخيالة والسينما »[2]

ويقول الأستاذ أنور الجندى : بدأت فى هذه المرحلة محاولات إدخال مفهوم للقصة ، تختلف عن المفهوم الإسلامى الأصيل

---

(١) الاتجاهات الوطنية ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) القصص القرآنى فى مواجهة أدب العفة والمسرح للأستاذ أحمد موسى سالم .

يعتمد على النقل والترجمة ، ويستمد من عقيدة تقوم على الخطيئة والمأساة ، والكشف والإباحة ، وقد قام هذا المفهوم على ترجمة القصة الغربية أولا ، ثم إلى تأليف قصة أو مسرحية تجرى ذلك المجرى دون تقدير للفوارق العميقة بين المفهوم الإسلامى للقصة الذى يقوم على الصدق ، والخلق ، ويعزف عن الرموز والغموض ، مع البعد عن الخرافات والوثنيات »[1]

وسر هذا فى تقديرى أن الواقع العربى الإسلامى على امتداد تاريخ هذه الأمة حافل بالقيم النادرة التى تحكى وتقص ، بينما الواقع الأوربى لا يجد المثل إلا فى شطحات الخيال . هذا إذا كان الخيال صحيحا فإذا مرض افتقد القيم فى الواقع وفى الخيال جميعا ؛ لقد سرت فى هذه الآونة دعوة صريحة للأدب المكشوف تحت شعار حرية الأديب ، فى التعبير عن خواطره ، وتصويرها لإمتاعنا بها ... وهذه مغالطة ! ! لأن الجمال والإمتاع إذا أردناهما قيما فاضلة لا ينفصلان عن الاخلاق .

يقول الدكتور طه حسين : فالأدباء عندنا ليسوا احرارا لا بالقياس إلى الدولة ، ولا بالقياس إلى القراء ، وما أكثر النبوغ الذى يضيع ويذهب هدرا ، لأنه يكظم نفسه ، ويكرهها على الاعراض عن الإنتاج خوفا من الدولة ، أو خوفا من القراء ، فليس كل موضوع يعرض للأديب عندنا تسيغه القوانين ، ويحتمله النظام ، ويرضى عنه ذوق الجمهور .« ثم يصف مصير الأدباء لو

(١) الشعوبية ص ١٤٠ .

نفذوا ماقال ، وقالوا أدبا مكشوفا يصف دخائل النفس كزملائهم الأوربيين » دعهم يفعلوا ذلك ، ثم انتظر مايصب عليهم الجمهور ، ورجال الدين ، وادارة الأمن العام والنيابة من المكروه . يجب أن يحرر الأدب والأدباء ، وأن يتاح لهم القول فى كل مايشعرون به ، ويجدون الحاجة إلى القول فيه ، ويجب أن تكون قوانيننا سمحاء ، وأن يكون تطبيقها سمحا ، وأن يكون ذوق الجمهور عندنا كذلك[1] ، وبلا ريب فى ظلال هذه السماحة التى ينادى بها الدكتور طه حسين تضيع مقاييس الأخلاق فى هذه الأمة ، وهذا يصور لنا طبيعة الجو الذى كانت فيه القصة فساء بعد أن خفت صوت الشعر ، وقد تصدى لهذا الاتجاه الذى أعلنه طه حسين ثُلّة من الكتاب الغُيُر على أخلاق هذه الأمة وأمجادها . يقول الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى كتابه : النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى : « خذ إليك مثلا تلك القصص الفرنسية التى يترجمها صاحب الكتاب[2] من آن لآن ، يلهى بها كثيرا من النشء ، ويضل بها كثيرا ، هل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة ؟ أو بينها وبين روح هذه اللغة صلة ؟ وإذا لم يكن فهل فيها شئ يجدد من عناصر الفضيلة ، والطهارة الروحية فى هذه الأمة ، ويعينها على سبيل العزة التى تريد ؟ إنا لا نظن أحدا دخل تلك

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨٠ . ص ٣٨١ وراجع مقالاً فى مهاجمة الأدب الهدام للأستاذ محمد توفيق دياب نشرته السياسة الأسبوعية بتاريخ ١٩٢٧/١١/٢٦ . ورد حافظ محمود عليه فى العدد التالى ١٩٢٧/١٢/٣ . وتعقيب الأستاذ دياب فى العدد نفسه .

(٢) د . طه حسين .

القصص ، وخرج منها ، وهو أقرب إلى الفضيلة والعفاف منه قبل بدئها »[1]

ويقول الأستاذ محمد توفيق دياب فى مقال له بعنوان : الأدب الماجن مفسدة الناشئين : ألا تدرى ماذا أريد بالأدب الماجن ياسيدى القارئ ؟ تلك الرواية التى يكتبها الكاتب ويمثلها الممثل ، فيقرؤها ألوف ، ويشهدها ألوف ، وتدور كل حوادثها حول محور واحد هو الصلة بين الرجل والمرأة ، ولكن أية صلة ؟ أَبْعَدُ الصلات عن الشرف وعن العفاف وعن احترام الحرمات التى لولاها ما كانت الإنسانية جديرة باسمها ».. ثم يقول : « هذا النوع من آثار بعض الكتاب هو مانسميه بالأدب الماجن ، وإنما نتجوز فنسميه أدبا ، لأنه كثيرا مايعزي إلى كتاب حاذقين ، بعضهم من أئمة البيان ، فهم أدباء من حيث انتسابهم للكتابة ، لا من حيث اتصافهم بالأخلاق الفاضلة ، وأكثر ماتكون هذه النزعة الشهوية فى طائفة من كتاب الأمم اللاتينية » ثم يقول : « ونحن لم نكن لنعنى بهذا الصنف من الأدب اللاتينى لولا أن عداوة قد سرت سريانا حثيثا فى آدابنا الحديثة تقليدا ، أو تعريبا ، فأصبحنا فى كل يوم ، تتقاذف إلى أيدينا عشرات من القصص القصيرة ، والطويلة ، والروايات التمثيلية ، والنكات الفكاهية ، وكلها مجاراة ومباراة لتلك الظاهرة الفاضحة »[2]

هذه هى القصة التى أرادها القوم خليفة للشعر العمودى

---

(١) راجع ص ٤٦ ، ص ٤٧ من الكتاب المذكور .
(٢) نشر المقال بالسياسة الأسبوعية ٢٢ أبريل ١٩٢٧ .

فكانت أسوأ خلف لخير سلف ، واذا كانت الوسائل التى اصطنعها القوم لضرب اللسان العربى فشلت فى ميادين عدة فإنها فى ميدان تغريب الأدب أحرزت نجاحا لا يستهان به ، خفت صوت الشعر العمودى ، وتعرض المستمسكون به لحملات ضارية ، انتشرت المذاهب الأوربية فى الأدب العربى دون مسوغ مقبول ، حتى أصبحنا نتحاكم إلى مقاييسهم فى النقد ، ظهرت القصة لتكون ميدانا للقضاء على أخلاق الأمة وأعرافها القويمة ، وليعاد عن طريقها ممارسة العامية ، وأصبح على ساحتنا أدب لا يخدم أهدافنا إلا قليلا ، لكنه خدم العامية كثيرا ، وخدم ضياع الأخلاق أكثر ، وحارب لغة الكتاب العزيز أكثر وأكثر ، وبرغم هذا كله لا يزال اللسان العربى شامخا ، وسيظل كذلك يتحدى ! ! !

﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾

﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾

هكذا اللسان العربى بشهادة الكتاب الحق لسان العلم ووعاء العقل .

الخاتمـــة

وماذا بعـــد؟ اللسان العربى يتحدى ! !

- حقائق ونتائج
- طريق العودة

﴿قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا فى الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾

قرآن كريم (سورة آل عمران/١٣٧)

حقائق ونتائج

بعد هذه الرحلة الطويلة عبر قرن من الزمان نرصد فيه حربا عاتية وجهت إلى الفصحى فى مراحل مختلفة ، متتابعة وفى ظروف متشابهة وأولياء هذه الحرب أصحاب اتجاهات مختلفة لكنهم جميعا تلاقت وسائلهم عند غاية واحدة .. هى ضرب الفصحى ... ظهرت لنا خلال هذه الرحلة حقائق ذات بال ، كما وضحت لنا نتائج هامة تعيننا على تلمس السبيل نحو العودة الصادقة إلى أمجاد خالدة .

من هذه الحقائق :

١ ـ للقوم أهداف واضحة وراء الحملة الضارية تنحصر فيما يأتى :

(أ) تحويل الإسلام من سلوك واقع إلى مجرد تراث نحتفى به فى المناسبات .

(ب) تحويل القرآن إلى مُتْحَف عندما يستعجم اللسان ، ونعجز عن الفهم ، ويترك أمره لقلة متخصصة ، أو نستجيب لواقع يخططون له ، فنكتبه بالعامية ، وعند ذاك نجرده من دلالة إعجازه وهى لسانه العربى ، بجانب تعدد أشكاله عندما نرى قرآنا مصريا ، وآخر شاميا ، وثالثا مغربيا وهكذا .

(جـ) تمزيق وحدة الأمة العربية التى حملت مشعل الحضارة إلى العالم منذ القرن السابع الميلادى ، إذ تنقطع رابطة من أقوى الروابط التى تربطها ، وهى رابطة اللسان .

(د) إلغاء التراث بحيث لا يتاح لهذه الأمة الاستفادة منه ، وبناء حاضر قوى على أساس من هذا الموروث العظيم .

٢ ـ هناك خطرا آخر أقوى من أى خطر نتصوره ؛ لا يكمن هذا الخطر فى الدعوة إلى العامية ، ولا فى الدعوة إلى الحرف اللاتينى ، ولا فى تجديد قواعد النحو والصرف والبلاغة ، ولا فى تغريب الأدب ، لأن كل هذه الدعوات معروف أمرها يتصدى لها الغُيُر منذ ظهورها ... ولكن هذا الخطر يكمن فى قبول مبدأ التطوير ، إذ التطوير هو الشرك الخفى الذى ينصبه الدهاة الغواة إذا فشلت وسائلهم الظاهرة . لأنَّ قبول مبدأ التطوير يعنى أن كل فئة تتخذ لها منهجا فى التطوير حسبما ترى بين مُفَرِط ، ومفرّط ، ومُضَيِّق ، ومُوَسِّع ، ومتوسط ، ولن يقف الأمر عند حد ، وتتسع شُقَّة الخلف بين الأطراف ، ويتحقق للقوم مايريدون تحت شعار معسول براق هو « التطوير » ، مع أن أبرز ما يتميز به اللسان العربى هو قواعده الثابتة المحكمة ، والشاذ عنها كما قلنا لا يقدح فى صلاحيتها « والتمسك بها ، والتزام طريقها هو العامل الوحيد الذى ضبط تطور العربية ، وصان وحدتها خلال أربعة عشر قرنا ، فأصبح القرآن بفضل ذلك كله وكأنه أنزل فينا اليوم ، وأصبح شعراء العربية ، وفقاؤها ، وفلاسفتها ، وكتابها ، وأطباؤها ، ورياضيوها ، وطبيعيوها ، وكيمائيوها وكأنهم كتبوا ماكتبوا وألفوا

ما ألفوا بالأمس القريب . وتلك ميزة مَنَّ الله بها علينا ، ولم تحظ بها أمة من الأمم ، وليس ذلك كله إلا بفضل إجتماع المسلمين على قداسة اللغة التى نزل بها القرآن ، والتزامهم ألا يخرجوا على أساليبها ، وقواعدها »[1] ؛ لكن ذلك لم يمنع من تطور اللغة تطورا طبيعيا ، وفق خصائصها ، وقواعدها ، وأصولها أما الذى نرفضه ونراه أسلوبا للهدم فهو الاتجاه إلى مايسمى بالتطوير الذى يقوم على الأهواء الضالة ، والتقليد الأعمى .

٣ ـ هذه الحملات ... إلى أين ؟

ما نصيبها من الفشل ، أو النجاح ؟ وإلى أى مدى تحققت لهم أطماعهم ؟ أحرزت الحملة نجاحا ملموسا فى مجال تغريب الأدب ، وأجهزة القصص الماجن المستورد على الشعر العمودى أو كاد ، وطرحت على الساحة المذاهب الاوربية فى الأدب ، وكانت هذه الحركة متزامنة مع حركة ضرب أخلاق الأمة إذ كانت القصة إحدى وسائلها ، وبرغم هذا النجاح كان هناك اليقظون من أبناء هذه الأمة الذين تصدوا لهذا البغى وأسمعوا ، وأوجعوا وإن كان صوتهم لم يكن مدويا أمام هذا الطوفان الجارف .

ثم ماذا ؟ نجحوا فى نشر العامية فى المسرح والخيالة ، ثم فى الإذاعات المرئية والمسموعة فيما بعد نجحوا ولفترة محدودة فى أن يبغضوا الأمة ، أو بتعبير أدق مَنْ تفرنجوا من أبناء الأمة فى كراهية لسانهم ، وامتهان من تخصصوا فى دراسة علوم هذا اللسان حتى

---

(١) الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٨٧ .

إنهم كانوا يتخذون منهم وسيلة للسخرية والدعاية ، والاقتراحات التى طرحها المقلدون تحت شعار تبسيط اللغة ، أو تبسيط القواعد ، وأتيحت لها ظروف التطبيق فى غفلة من الزمن ، وفى ظروف خاصة المحنا إليها كان من آثارها أجيال مستعجمة ، تروعنا أخطاؤهم فى وسائل الإعلام المتعددة ، والحرب لم تتوقف .

ولكنى برغم هذا أقول إن ماحصل عليه القوم هو حصاد الهشيم ، ولن يصح إلا الصحيحُ ، كما أنه بحكم المحصلة النهائية لهذه الجهود الشيطانية أستطيع أن أحكم بأنها فشلت فى تحقيق أهدافها التى ذكرتها آنفا ، بل إنها أثارت همم أبناء اللغة للبحث فى أسرارها ، والكشف عن كنوزها ، وتتبع دقائقها ، ووجوه الفضل فيها ، وقدرتها على التعبير عن المعانى والمُحَسَّاتِ جميعًا ، لقد أصبحت كل هذه الحركات التى وجهت للفصحى مجرد تاريخ تتذكر به سوءات الاستعمار وتهافت أذنابه ، والضياع الفكرى لمقلديه .

٤ ـ عبرة وملاحظة

هنا ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهى فى الوقت نفسه عبرة بالغة ، مما أمتن الله به على هذا اللسان العربى ماوضعه اللغويون والنحاة من قواعد ، وحدود له ، تجعله مطابقا فى كل عصر لمذهب القرآن وشعر العرب ، وأساليب الفصحاء ، ثم تنمو لغتنا فى هذا الإطار حسب مقتضيات الحياة ، وما يجد فيها من أفكار ، وأشياء . وبهذا حافظت اللغة على وحدتها على امتداد هذه القرون ،

وأدت رسالتها كأوفى مايكون الأداء ، ولا تزال الدعامة الهامة للمطلب العزيز الذى يسعى إليه أبناء الأمة ، وهو استعادة الوحدة ، ولن يكون هذا المطلب عسيرا مادامت وحدة اللسان باقية ، لكن الشئ المثير فعلا هو أن يسعى بعضنا تحت لافتة الإصلاح ليوقعنا فى البلاء الذى وقع فيه غيرنا ممن لم يكرم الله لسانهم بمثل ماكرم به لساننا .

لقد كانت أوربا مجتمعة على اللاتينية . ثم تفرقوا فيها إلى ألسنة عدة ، فماذا جنوا ؟ وأى ربح حصلوه سوى الفرقة والانقسام وولوغ بعضهم فى دماء بعض ؟ ألا ينبغى لنا أن نتعلم من التاريخ ؟ ونلتمس العبرة من الواقع ؟ إن اليهود الآن أعادوا ـ باصرار ـ عبريتهم التى ماتت ودرست ، ويحاولون الآن بكل جهد أن يربطوا أنفسهم بها ، ويبعثوا الحياة فى ألفاظها ، وينبشوا مقابر تاريخهم ليأتوا بأسماء عبرية يطلقونها على ما اغتصبوه من أرض العرب . بينما نحن فى المقابل نبحث عن الوسائل التى تميت لغتنا الحية ، أو تقطعها إربا إربا ! ! ! بماذا يسمى هذا التصرف فى منطق أولى الالباب ؟ !

وصدق الله العظيم : ﴿ **قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾ الكهف/١٠٣ ، ١٠٤

٥ ـ العامية مشكلة كل لغة

فكل لغة لها لغتها العامية ، فلم تكن مشكلة العربية وحدها ،

وجمهرة المتكلمين بالعامية من أبناء العرب يفهمون الفصحى فى يسر ، ويستمعون للقرآن الكريم ، فلا يجدون عسرا ولا عنتا فى إدراك معانيه ، وهو فى أعلى درجات الفصاحة والبلاغة ؛ والجهود التى بذلها أصحاب الأهواء لدعم العامية لم تدعمها ، وإنما كشفت عيوبها ، وأبانت عن عجزها وقصورها ، بدليل أنه لما استطاع دعاة العامية فى فترة من الزمن التسلل إلى التعليم الابتدائى فى مصر ، وظهر كتاب : شرشر وفلفل ، والبط يأكل فت ، والوز يأكل رز تعرضت لحملة نقد شديدة ورفض الناس ـ حتى العامة ـ هذا الاتجاه ، ورد كيد أصحابه إلى نحورهم ، وهذه هى بعض مظاهر القصور والعجز فى العامية .

● العامية ليست لغة قائمة بذاتها لها خصائصها ومقوماتها ، وإنما هى لهجة تفرعت عن الفصحى ، وامتصت على اختلاف فترات التاريخ مفردات من لغات عدة .

● من مواقع نتائج الدراسات التى قام بها المستشرقون يتأكد لنا أن العامية لا يمكن أن يعول عليها فى العلوم والآداب ، فهى تحريف للغة أخرى ، ولم تستغل فى يوم من الايام بقوانين وقواعد .

● العامية فقيرة فى مفرداتها . وغير ثابتة على حال ، وهى عرضة للتغيير الدائم فى أصواتها ودلالتها ، كما أنها بواقعها تتيح فرصة لتمزق المتكلمين بها فهى تختلف من مدينة إلى مدينة ، بل من قرية إلى قرية ، وقد يكون بين القريتين عدة كيلومترات .

● العامية لا توفر وقتا ، ولا جهدا ، وفى الكتابة بها مشقة بالغة .

● العامية لا تصلح وسيلة للتفاهم بين أبناء الأمة العربية ، وتقطع

الحاضر عن الماضى ، وتفصل الأدب عن الدين ، وتحقق الفرقة فى وقت يسعى العالم فيه إلى الوحدة .[1]

وبناء على هذا يستبين لنا أنها لم تكن ولن تكون دعوة إصلاح وإنما هى خطة تدمير ، نسجها أصحاب الأهواء ، وطرب لها العملاء ، وانساق وراءهم المقلدون .

ولكن الحق حق ، والباطل باطل ﴿**فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض**﴾

٦ ـ فكرة اللغة المتوسطة هى صورة من صور الخداع فى الدعوة إلى العامية ، بل هى فى تقديرى أكثر ضررا منها لما يحيط بها من دهاء ومكر خفى يعز إدراكه على الكثرين .

٧ ـ اللسان العربى يتحدى ...

بالرغم من هذه الجيوش ، المتعددة الاتجاهات ، والتى حاربت اللسان العربى فى أكثر من ميدان ، وبأسلحة متنوعة فإن المؤشرات تؤكد انتصار الفصحى لقدرتها الذاتية ، ولعطائها المستمر ولارتباطها بالكتاب العزيز ولاحتوائها التراث الخالد ؛ والرأى العام الغربى يتجه الآن بقوة إلى الفصحى بعد أن فضحت الأهداف ، وبرح الخفاء ، ونما الوعى الدينى بصورة عميقة ، وتعددت الجماعات العاملة فى الحقل الاسلامى على كل المستويات ، ونمو الوعى الإسلامى يتبعه نمو الوعى اللغوى ، ومطاردة آثار العجمة فى الألسنة العربية ؛ أضف إلى ذلك أن الإسلام يعيش الآن مرحلة

---

(١) الشعوبية من ص ٢٢٥ إلى ص ٢٢٧ مع تصرف واختصار .

غزو جديد للفكر الإنسانى ، وأوى إليه قمم العلم والفكر من أوربا ، مستيقنة من أنه الحق الذى يمكن أن يحقق السعادة لبنى الإنسان ؛ وأثبتت اللغة العربية وجودها وأصالتها ، وأصبحت إحدى اللغات الأساسية للأمم المتحدة ؛ فلتستح إذن هذه الفلول من بقايا « ويلكوكس » و « سلامة موسى »

وأمر آخر :

فى مطالع هذا القرن كانت معاهد اللغة العربية فى العالم العربى تعد على أصابع اليد الواحدة ، والآن ــ ولله الحمد ــ تعد بالعشرات فى كل قطر عربى تدعم ارتباط هذه الأمة بلسانها ، وبكتاب ربها . هذا عدا المعاهد الموجودة فى بلاد العالم الإسلامى لتعلم المسلمين من غير العرب لغة الكتاب العزيز ، كما أدت حركة إحياء التراث دورها الفعال منذ وجدت فى إبطال هذا المخطط ، وقد اتسعت الآن ، وتعددت مراكزها ، وأسهمت دول وهيئات متعددة فى إثرائها وإنمائها ، وتعميق آثارها ، وستبقى علينا مسئولية تظل قائمة ولازمة ، وهى العمل على أن يظل لهذا اللسان سيادته وسلطانه ، وأن نعود به إلى عصر قوته وازدهاره ؛ ليسترد الأرض التى اغتصبها منه الحرف اللاتينى فى إفريقيا وآسيا .

طريق العودة

على ضوء هذه الحقائق والنتائج التى أسلفناها لابد أن نضع فى حسابنا هذه المعالم للطريق الذى يجب أن نسلكه ، صيانة لأمتنا ، ولسانها ، ودينها .

١ ـ المحافظة على القرآن الكريم ، وأخذ الناشئة به منذ نعومه أظفارهم ، فيسمو بهم ، ويقوم ألسنتهم ، ويأخذهم بالصوتيات العربية الصحيحة ، ويزودهم بثورة لغوية وأسلوبية واسعة ، يحفظونها أول أمرهم ، ثم يفقهونها عند بلوغ رشدهم .

والدور القرآنى فى بناء الفصحى عندنا شئتنا ، يغطى كل المراحل اللغوية من صوتية ، وتصريفية ، ونحوية ، وبلاغية ، وهذا الاتجاه بدأ يتضح فى أمتنا ، وتتنافس الدول والهيئات فيه ، وعندما أسمع أطفالنا يقرءون القرآن الكريم مجوّدا بطريقة تأخذ بمجامع القلب أحس كأنهم يصفعون « سبيتا » أمين المكتبة ، والقاضى « ولمور » والمهندس « ويلكوكس » والأذناب معهم ومن بعدهم على أقفيتهم ، ومن أجل هذا لابد من تعزيز هذا الاتجاه بكل السبل ، ولا أقل من أن نطالب بمعاملة حفاظ القرآن معاملة أصحاب البطولات الرياضية والفنية ، وغيرها ممن نبالغ فى تكريمهم .

٢ ـ لابد أن نضع فى اعتبارنا أن الدفاع عن الفصحى دين ، وأنها خط الدفاع الأول عن الإسلام ، وأعداء الإسلام عندما يضربون الفصحى يحققون مايريدون بطريق غير مباشر ، كما أنهم يجنبون أنفسهم مغبة الدخول فى حرب ، تحرك ضدهم جهودا إسلامية متنوعة ، إذ يصورون القضية على أنها قضية لغة يراد إصلاحها ، ولا علاقة لها بالدين ، لتتم المؤامرة فى داخل الوطن العربى دون أن يحس بها المسلمون ، وثمت أهداف أخرى أشرنا إليها هى تمزيق الأمة العربية ، إذ تتوزعها لهجات عامية متعددة ، كما يضمنون الانفصال الشبكى بينها وبين تراثها العظيم ، فلا يجدون إلا

حضارة أوربا .

٣ ـ مجامع اللغة العربية على امتداد الوطن العربى أعنى فى القاهرة ، ودمشق ، وبغداد لم تحقق تماما الأهداف التى أنشئت من أجلها ، وفيها نخبة من أعلام العلماء . أيليق بالازمة التى أنجبت ابن سينا ، والرازى والزهراوى أن تظل للآن تدرّس الطب بالإنجليزية مع أن هناك دولا ليس للغاتها مكانة اللغة العربية ، وتدرس الطب بلغاتها ؟!! لابد لهذه المجامع ، ومن ورائها عشرات الجامعات فى الأمة العربية أن تؤدى دورها فى الحفاظ على هذا اللسان وحمايته ، وإثبات قدرته .

٤ ـ لابد من الحرص على اللسان الفصيح فى محاضراتنا ودروسنا ، وكل مجالسنا ، وليصبح هذا الأمر مسئولية كل أستاذ ، ومُرَبٍّ ، وغير مقصور على أستاذ اللغة العربية وحدها .

٥ ـ لابد من التوجيه المستمر لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعات مرئية ومسموعة إلى الحرص على اللسان الفصيح بكل مظاهر الفصاحة فيه سواء أكانت صوتية أم تصريفية أم نحوية أم بلاغية .

٦ ـ لابد من عقد مؤتمرات على مستوى العالم العربى تحت عنوان « من أجل حماية الفصحى » يلتقى فيها أساتذة اللغة العربية ، والمهتمون بأمرها ، وأعضاءا المجامع اللغوية لدراسة الوسائل الكفية باحفاظ على هذا اللسان والدعم المستمر له .

٧ ـ دعم حركة إحياء التراث ، والعمل على استمرارها ، مع

ترشيدها ، وتنسيق الجهود بين القائمين بها على أرض الوطن العربى .

﴿وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾

مراجع البحث ومصادره

اعتمدنا فى هذا العمل على مراجع شتى مابين كتب ودوريات نثبت أهمها فيما يلى :

أولها : القرآن الكريم

ثانيها : المطبوعات التالية

١ ـ أباطيل وأسحار ـ الشيخ محمود محمد شاكر

٢ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـ د. محمد محمد حسين ـ دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ .

٣ ـ الإتقان فى علوم القرآن ـ للسيوطى ـ مطبعة الحلبى القاهرة .

٤ ـ الأسس المعجمية والثقافية ـ د . رشدى طعيمة ـ إصدار معهد اللغة العربية ـ جامعة أم القرى ـ مكة .

٥ ـ أين يتجه الإسلام ؟ المستشرق جب ـ لندن .

٦ ـ تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ـ د . نفوسة زكريا ـ دار الثقافة بالاسكندرية ١٩٦٤م/١٣٨٣هـ .

٧ ـ تاريخ العرب فيليب حتى

٨ ـ تحت راية القرآن ـ مصطفى صادق الرافعى

٩ ـ حاضر العالم الإسلامى ـ لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويدض وشكيب أرسلان مصر ١٩٢٥ .

١٠ ـ حديث الأربعاء ـ د . طه حسين ـ دار المعارف

١١ ـ الخلاف بين النحويين ـ تاريخ وتحليل وتقويم ـ د . السيد رزق الطويل ـ الفيصلية ـ مكة .

١٢ ـ ديوان حافظ .
١٣ ـ الشعوبية فى الأدب المعاصر ـ أنور الجندى ـ دار الاعتصام القاهرة .
١٤ ـ الشوقيات ـ أحمد شوقى .
١٥ ـ طبقات النحويين للزبيدى ت . محمد أبوالفضل إبراهيم دار المعارف .
١٦ ـ علوم القراءات ـ مدخل ودراسة وتحقيق ـ د . السيد زرق الطويل ـ الفيصلية ـ مكة .
١٧ ـ القصص القرآنى فى مواجهة أدب القصة والمسرح ـ أحمد موسى سالم .
١٨ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد .
١٩ ـ مستقبل الثقافة فى مصر ـ د . طه حسين ـ مصر ١٩٤٤ .
٢٠ ـ اليوم وغدا ـ سلامة موسى ـ مصر ١٩٢٧ .

ثالثا : الدوريـات

الأهرام	مصـر	لا تزال
الأمـة	قطر	لا تزال
الرسالة الجديدة	مصر	كانت
الشرق الأوسط	صحيفة يومية	لا تزال
الجريدة	مصر	كانت
السياسة الأسبوعية	مصر	كانت
مجلة مجمع اللغة العربية	القاهرة	لا تزال
الهلال	مصر	لا تزال
المقتطف	بيروت	كانت
المقتطف	مصر	كانت
المصور	مصر	لا تزال

فهرس الموضوعات

الفصـــل الرابع

الفصـــل الخامس

الفصـــل السادس

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]

الكتاب	المؤلف
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

الكتاب	المؤلف
٤٥ ــ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فودة]
٤٦ ــ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ــ الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	[الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي]
٤٨ ــ دحض مفتريات	[د. البدراوى عبدالوهاب زهران]
٤٩ ــ المجاهدون في فطاني	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ ــ معجزة خلق الإنسان	[د. عبد الرحمن عثمان]
٥١ ــ مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	[الدكتور سيد عبدالحميد مرسى]
٥٢ ــ مايختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي الماركسي	[أنور الجندي]
٥٣ ــ الشورى سلوك والتزام	[د. محمد احمد البابلي]
٥٤ ــ الصبر في ضوء الكتاب والسنة	[أسماء عمر فدعق]
٥٥ ــ مدخل إلى تحصين الأمة	[د. احمد محمد الخراط]
٥٦ ــ القرآن كتاب أحكمت آياته	[الأستاذ احمد محمد جمال]
٥٧ ــ كيف تكون خطيبا	[عبد الرحمن خليف]
٥٨ ــ الزواج بغير المسلمين	[الشيخ حسن خالد]
٥٩ ــ نظرات فى قصص القرآن	[محمد قطب عبدالعال]

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة